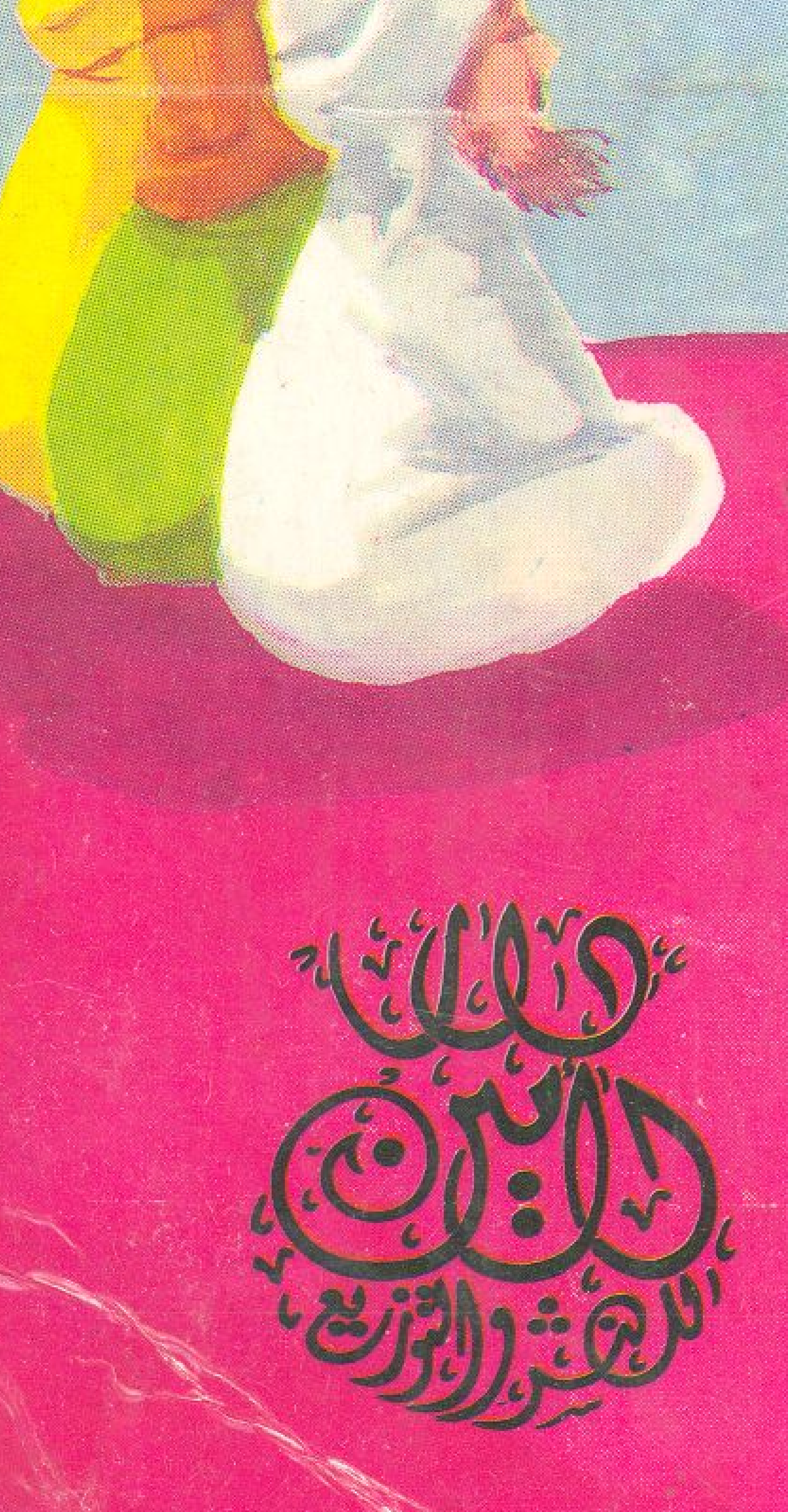
سيد صديق عبد الفتاح

غرائب الخطب وعجائب الخطباء



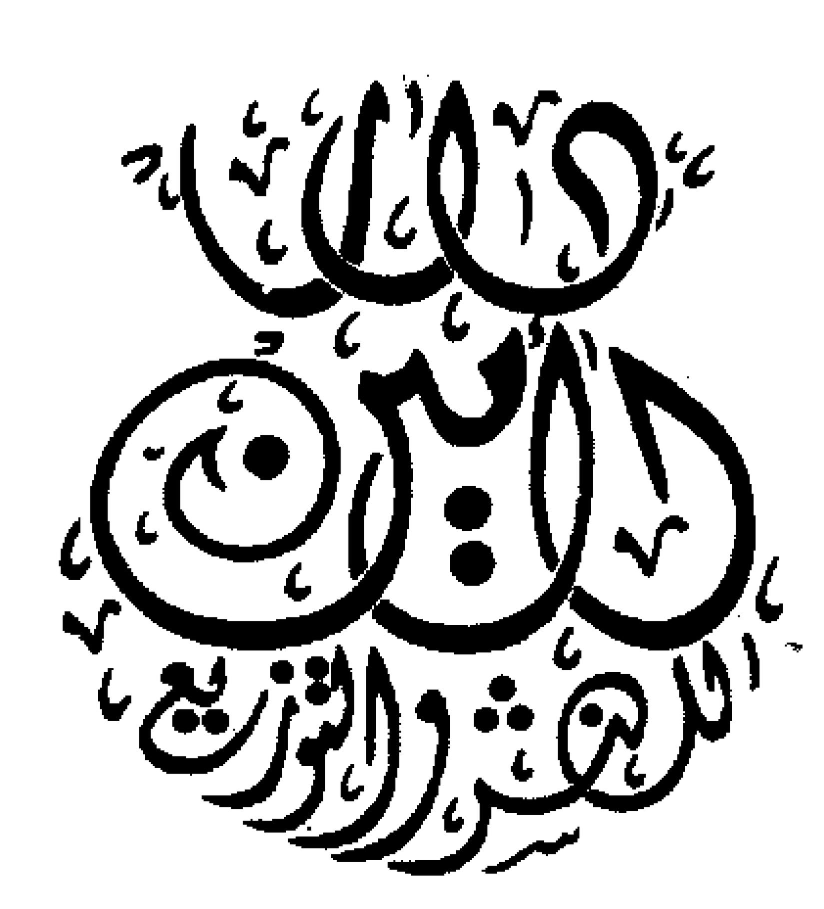


غرائب الخطب وعجائب الخطباء

بسم الله الرحمن الرحيم

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع . نشر . توزيع

القاهرة : ١ ش محمد محمود
باب اللوق (برج الأطباء)
تليفون : ٣٥٥٨٤٦١

الجيزة : ١ ش سوهاج ــ من
ش الزقازيق ــ خلف قاعة
سيد درويش ــ الهرم

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤ م

رقم الإيداع ١٩٩٤/٢٧٢١

I.S.B.N.
977—5424—52—6

سيد صديق عبد الفتاح

غرائب الخطب وعجائب الخطباء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

*** عزيزى القارىء**

هل تعلم أن الإمام « على بن أبى طالـب » كرَّم الله وجهه قد ارتجل خطبة طويلة خالية من حرف « الأَلِف » ؟

وهل سمعت عن خُطَب أُلقيتْ بدون نُقَطٍ على الحروف ؟

وهل حضرت خُطبة تضمنت كل أسماء سور « القرآن الكريم » ؟

وهل شـاهـدت خُطَبـاء على المنبر قـد « أُرْتِجَ » عليهم أثنـاء إلقـائهم الخُطبة ؟

وهل سمعت خُطبـة بَلَغَ غمـوضهـا -بـالنسبة إلينـا الآن بـالـرغم مِنْ فصاحتها وبلاغتها -بحيث أنك لا تستطيع أن تعرف منها لفظًا واحدًا ؟ !!

هل عرفت شيئًا عن الخُطَب الصحية ، التى تتعلق بالحَشَرات الجسدية، والأمراض البشرية ؟

هل سمعت خُطبة أُلْقِيَتْ ، خالية من حرف « الراء » ؟

هل سمعت خُطبة غزلية ، يُرَدُّ عليها بخُطبة غذائية ؟

هل تجيد إلقاء خُطبة للأنام ، عن حُسْن الطعام ؟

هل حضرت إحدى خُطَب النكاح (الزواج) وعرفت ما يُقال فيها ؟

هل تعلـــم أن للأعـراب المتسولــين - قديمًا - خُطبًا بليغــة يسألـون الناس إحسانًا بها؟

هل سمعت خُطبة فى العيون والأبصار ؟

أوفى الجمال والكمال ؟

أو فى الحب والعاشقين ؟

أو فى استعارة الإنسان لطبائع الحيوان ؟!

كل هـذا وغيره - عـزيـزى القـارىء - من غـرائب الخُطب ، والنـوادر الطـريفـة لبعض الخُطبـاء ستعـرف عنه الكثير فى هـذا الكتـاب الـذى بين يديك!.

* * *

سيد صديق عبد الفتاح

خطبة القاضى (عياض)

التى ضمنّها سُوَر القرآن

* خطب القاضى « أبو الفضل عياض » (٤٧٦ - ٥٤٤هـ) خطبة ضمنها سـور « القرآن »

فقـــال :

« الحمـد لله » الـذى افتتَحَ بالحمـد كلامـه ، وبَينَّ فى سُورَة « البقـرة » أحكامه، ومَدَّ فى « آلِ عَمْران » و « النسـاءِ » «مائدةَ » « الأنعام » ليُتِمَّ إنعامَه وجعل فى « الأعراف » « الأنفالَ » « تَوْبةِ » « يونس » و « آلـرّكتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ » ، بمجاورة « يوسف » الصِّدِّيق فى دار الكرامة .

وسبَّح « الـرَّعْدُ » بحمـده ، وجعل النـار بردًا وسـلامًا على « إبـراهيم » ليؤمن أهلُ «الحِجر »[١] ، أنه إذا « أَتَى أَمْرُ الله » سبحـانه فلا « كَهْفَ » و لا ملجأَ إلا إليـه ، ولا يُظْلَمُـــون قُـلاَمَـة ، وجعـل فى حـروف « كَهيَعصَ » سرًّا مَكْنـونًـا، قَدَّم بسببـه « طـه » ﷺ على سـائر « الأنبيـاء » ، ليُظْهِر إجـلالَـه وإعظـامه ، وأوضح الأمـرَ حتى « حَجَّ » « المؤمنـون » « بِنـور » « الفُرْقـان » و«الشُّعَـراءُ » صاروا « كـالنمل » ذُلاً وصَغَـارًا لِعَظَمته ، وظهـرت «قَصَصُ » «العنكبوت » ، فـآمن بـه « الروم » ، وأيقنـوا أنه كـلام الحىِّ القَيُّوم ، نـزل به الرُّوح الأمين ، على زَيْنِ مَنْ وافَى يومَ القيامة .

---

(١) وادٍ بين المدينة والشام ، وهو منازل ثمود .

وأوضحَ « لُقمانُ » الحِكْمَـة بـالأمـر « بـالسجـود » لـرب « الأحـزاب » «فَسَبا» « فـاطِرُ» « السَّمٰوات أهلَ الطـاغوت ، وأكسبهم ذُلاًّ وخِـزْيًا وحَسْرة وندامة ، وأمدَّ « يسٓ » ﷺ بتأييـد « الصَّافَّات »[1]، « فصادَ » « الزُّمَـر » يوم بَدْره ، وأوقع بهم ما أوقع صناديدَهـم فى القَلِيب[2] مكدوس ومكبوب ، حين شَالَت بهم النَّعامة[3] .

وغفر « غـافر » الـذنب وقابِلُ التَّـوْبِ للبدريين (رضى الله عنهـم) ما تقـدم ومـا تأخـر حين « فُصِّلتَ » كلمات الله ، فَـذَلَّ مَنْ حَقَّتْ عليـه كَلِمَـةُ العـذاب وأَيسَ مِنَ السلامـة، ذلك بأنَّ أمرهم « شُـورَى » بينهم ، وشَغَلَهُم «زُخْرُف » الآخـرة عن « دُخان » الـدنيا ، فجَثوا أمـام « الأحْقَاف »[4] لقتال أعداء «محمد» ﷺ ، يمينه وشماله وخلفه وأمامه .

فَأُعطـوا « الفَتْح » وبُـوِّئُوا « حُجُـرَاتِ » الجِنَـان ، وحين تَلَـوْا : « قٓ والقُرْآنِ المَجِيد»، وتدبَّروا جواب قَسَم « الذَّاريات »[5] و « الطور » ، لاح لهم «نَجم » الحقيقـة ... وانشقَّ لهم قَمـر اليقين ، فنـافـروا السـآمـة ، ذلك بأنهم أَمَّنَهُم «الـرَّحْمٰن » إذا « وقعت الـواقعة» ، واعترف بـالضعف لهم « الحديـد » وهُزم «المجادلـون » ، وأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِـمْ لِأَوَّلِ « الحَشْرِ » ، يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِم وأَيدِى المُؤمنين ، حين نافروا السلامة .

أحمَده حَمْدَ من « امتَحَنتْه » « صفوفُ » « الجُمـوع » فى « نَفَق » «التغابُن»

(١) الملائكة تصف نفوسها للعبادة .
(٢) القليب : البئر الذى دفن فيه كفار قريش .
(٣) شالت نعامتهم : خفَّت منازلهم منهم ، أو تفرَّقت كلمتهم ، أو ذهب عزمُهم .
(٤) واد باليمن به منازل عاد .
(٥) الذاريات : الرياح تذرو التراب وغيره .

«فطلّق» « الحُرُمـات » حين أعتبر « المُلك » وعـامَـه ، وقـد سمع صرَيف «القَلَم» وكأنه «بالحاقَّة »[1] و « المعارج » يمينه وشِمالَه وخَلْفَه وأمامه .

وقد ناح « نوح » « الجن » « فتزمَّل »[2] « وتدثَّر » فرَقًا من يوم « القيامة » «الإنسان» وأنِس« بُمرْسَلات » « النبـأ » ، فنزع « العُبُوسَ » من تحت « كُور » العمامـة ، وظهـر لـه « بـالانفطـار » « التطفيف » . « فـانشقّت » « بُـروجُ » «الطّارق » « بتسبيح » الملك الأعلى « وغشيته » الشهامـة ، فورب« الفَجْر » و« البَلَـد » و« الشمس » و« الليل »و« الضُّحَى » ، لقد « انشرحـت » صدور المتقين ، حين تَلَـوْا سُـورة « التين » ، « وعَلِق » الإيمان بقلوبهم ، فكلٌّ عَلَى «قَدْر » مقامِه « يُبَين» ولم يكـونوا بمنفكين دهرهم ، ليله ونهاره وصيامه وقيامه إذا ذكروا « الزَّلْزلة » رَكبوا « العاديات »[3] ليُطفئوا نور «القارعة» ، ولم يُلْهِهِمُ « التكاثُر » حين تلوا سورة « العصر » و « الهُمَزَة » .

وتمثلوا بأصحاب « الفيل » « فَلْيَعْبُـدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ ، الذى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » .

« أرأيتهم » كيف جعلوا على رءوسهم من الكُور عِمامـة ، « فالكوثر »[4] مكتـوب لهم ، و « الكـافـرون » خُـذِلُـوا ، وهم « نُصِرُوا » ، وعُـدِل بهم عن «لهَب» الطـامَّة ، وبِسـورة « الإخلاص » قَـرُّوا وسَعِدُوا ، وبـرب « الفَلَق »[5] و«النَّاس» استعاذوا فأُعيذوا من كل حُزن وهمٍّ وغمٍّ وندامة .

---

(١) الحاقة : القيامة التى فيها يَحِقّ ما أُنكر من البعث والجزاء .

(٢) تزمَّل بثيابه : تلفف بها .. وكذا تدثَّر .

(٣) الخيل تعدو فى الغزو ، والقارعة التى تقرع القلوب بأهوالها .

(٤) الكوثر : نهر فى الجنة .

(٥) الفلق : الصبح .

« وأشهد أن لا إلٰـه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمـدًا عبده ورسـوله، شهـادة تُنـال بها منازلُ الكـرامـة ، صلى الله تعـالى عليه وعلى آلـه وأصحابه ، ما غَرَّدتْ فى الأيْكِ حَمامة » .

خطبة « سعيد بن أحمد المقرى »

التى ضمنَّها سُوَر القرآن

*** وخَطَبَ « سعيد بن أحمد المقرى(*) » خطبة على هذا النمط نصها :**

« الحمد لله الذى افتتح « بفاتحة » الكتاب سُورة « البَقَرة » ، ليصطفِيَ من « آل عِمْرَانَ » رجالاً و « نساء » ، وفَضَّلهم تفضيلاً ، وَمَدَّ « مائدة » «أنعامه » ورزقه .. ليعرِفَ « أعراف » « أنفال » كرمه حَقَّهُ عَلَى أهل «التوبة».

وجعل « ليونس » فى بطن الحُوت سبيلاً ، ونَجَّى « هودًا » من كَرْبه وحزنه ، كما خَلَّص « يُوسُفَ » من جُبِّه وسجنه ، وسَبَّحَ « الرعدُ » بحمده وَيُمْنه .

واتخذ الله « إبراهيم » خَليلاً ، الذى جعل فى حِجر «الحِجْر » من «النحل » شرَابًا، نَوَّع باختلافِ ألوانَهُ ، وأوحَى إليه بخَفِيِّ لطفه « سبحانه » .. واتخذ منه « كهفًا » قد شَيَّدَ بنيانه .

وأرسل روحه إلى « مريم » فَتَمَثَّل لها تمثيلاً ، وفَضَّل « طَه » على جميع «الأنبياء » ، فأتى « بالحج » والكتابِ المكنون ، حيثُ دعا إلى الإسلام « قد أفلح المؤمنون » ؛ إذ جَعَلَ « نور » « الفرقان » دليلاً .

(*) عم أحمد المقرى صاحب (نفح الطيب) .

وَصَدَّق محمدًا ﷺ الذى عَجَزَت « الشعـراء » فى صِدْق نَعْته ، وَشَهدت « النملُ » بصـدق بَعْثـه ، وبَيَن « قصص » الأنبيــاء فى مُـدَّة مُكْثِـه ، ونَسَجَ «العنكبوت » عليه فى الغار سِتْرًا مَسْدُولاً .. ومُلِئَتْ قلوب « الروم » رُعْبًا من هيبته .

وتَعَلَّم « لُقْمَان » الحكمةَ من حِكمته ، وهَـدَى أهل « السَّجْدة » للإيمان بدعوته ، وهَزَم « الأحزاب » و« سباهم» وأخذهم أخذًا وَبِيلاً ، فَلَقَّبَهُ « فاطر» السَّمٰوات والأرض بـ« يَس » .

كما نفَّـذ حُكْمَــه فى « الصَّــافَّــات » ، وبَيَنَّ « صَ » صِـدْقـه بـإظـهـار المعجزات ، وفَرَّق «زُمَر » المشركين ، وصَبَرَ على أقوالهم وهَجَرَهُم هَجْرًا جَمِيلاً فَغَفَرَ له « غافر » الذَّنب ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر .

وَ « فُصِّلَت » رقــابُ المُشركين ؛ إذ لم يكن أمــرُهم « شُــورى » بينهم و«زُخـرف » منـار الإسـلام ، وخَفِـى « دخـان » الشرِّك ، وخَـرَّتِ المشركـون «جاثية» .

كما أنذر أهل « الأحقافِ » فلا يهتدون سبيـلاً ، وأذلَّ الذين كفروا بشدة « القتال».

وجـاء « الفَتْح » للمـؤمنين والنصر العـزيـز ، و« حِجْـر» « الحُجُـرَات » الحريز ، وَبـ« قَ » القُدرة « قُتِلَ الخَرَّاصون »[1] تقتيلاً .

---

(١) الكذابون .

كَلَّم موسى على جبل « الطُّور » ، فارتقى « نجم » محمد ﷺ ، «فاقتربت» بطاعته مبادىء السرور ، وأوقع « الرحمٰن » « واقعة » الصبح على بساط النور .

فتعجَّب « الحديد » من قوَّته ، وكثرةِ « المجادلة » فى أمته ، إلى أن أُعيد فى « الحَشْر » بأحسنَ مقيلاً « امتحنه » فى « صف » الأنبياء وصلىَّ بِهم إمامًا .

وفى تلك « الجُمعة» مُلِئت قلوبُ « المنافقين » من « التغابُن » خُسْرًا وإرغامًا ، «فطلَّق » و « حرَّم » .

تبارك الذى أعطاه « المُلك » ، وعلَّم « بالقلم » ، ورتَّل القُرآن ترتيلاً وعن عِلم «الحاقة » ، كمْ « سأل سائل » فسأل الإيمان ، ودعا به « نوح » فنجَّاه الله تعالى من الطُّوفَانِ ، وأتت إليه طائفة « الجنِّ » يستمعون القرآن فأنزل عليه : « يٰأَيها المزّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً » .

فكم من « مُدثِّر » يوم « القيامة » شفقةً على « الإنسان » إذا أرسل «مُرْسَلات » الدمع ، « فعمَّ يتساءلون » أهل الكتاب ، وما تقبل من «نازعات» المشركين إذا «عَبَس» عليهم مالك وتولاَّهم بالعذاب ، و « كُوِّرت» الشمس و « انفطرت » السماء ، وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ، فويلٌ «لِلْمُطَفِّفِينَ « إذا « انشقَّتِ » السماء بالغمام ، وَطُوِيَتْ ذات « البروج » ، وَطَرَق « طارق » الصُّور بالنفخ للقيام ، وعَزَّاسم ربك «الأعلى» « لغاشية» «الفجر » ، فيومئذ لا « بلد » ولا «شمس » ولا « ليلَ » طويلا .

فطُوبى للمُصَلِّين « الضُّحَىٰ » عند « انشراح » صدورهم ، إذا عاينوا «التِّين » والزيتون وأشجار الجنة ، فسجدوا « بِاقْرأ باسمِ رَبِّكَ الذى خَلَق »

هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدارما أحيوا ليلة « القَدْر » ، وتبتلوا تبتيلاً.

و« لم يكن الَّذينَ كَفَروا مِنْ أَهْل الكِتَاب » من أهل « الزلزلة » من صديق ولا حميم، وتسوقهم « كالعاديات » إلى سواء[1] الجَحِيم .

وزُلْزِلَتْ بهم « قارعة » العقاب ، وقيل لهم : « أَلهاكُمُ التَّكَاثُر » هذا « عصر » العقاب الأليم ، وحُشِرَ « الهُمَزَة » وأصحاب « الفيل » إلى النار ، فلا يُظْلَمون فَتيلاً ، وقالت «قريش » ما آمِنْتم من هول الحَشْر ، « أرأيت الذى يُكَذِّبُ بِالدِّين » كيف طُرِد عن «الكَوْثَر ؟» .

وسيق « الكافرون » إلى النار ، و « جاءَ نَصْرُ الله والفَتْح » ، « فَتَبَّتْ يَدَا أبى لهَبٍ » إذ لا يجَد إلى سورة « الإخْلاص » سبيلاً ، فنعوذُ « برب الفلق من شر ما خَلَق » ، ونعوذ برب « النَّاس * مَلِك الناس * إلـٰه الناس * من شرِّ الوسواسِ الخنَّاسِ » الذى فسَق ، ونتوب إليه ونتوكَّل عليه ، وكَفَى بالله وكيلاً .

* * *

(١) وسط .

خطبة « الكَفْعَمِى »

التى ضمَّنَها سُوَر القرآن أيضًا

* وخَطَبَ « الكَفْعَمِى[1] » خطبة على هذا النمط أيضًا

نصهـا :

«الحمد لله الذى شرَّف النبى العربى « بالسبع المثانى » وخواتيم «البقرة » من بين الأنام ، وفَضَّل « آل عمران » على الرجال « والنساء » ، بما وهب لهم من « مائدة » « الأنعام » ، ومنحهم « بأعراف » « الأنفال » ، وكتب لهم « براءة » من الآثام .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، الذى نَجَّىٰ « يونس » و«هودًا » و«يوسف » من قومهم ، « برَعْدِ » الانتقام ، وغذَّى « إبراهيم » فى «الحِجْر » بلُعاب « النحل » ذات « الإسراء » ..

فضاهى « كهف » « مريم » عليها السلام .

وأشهد أن « محمدًا » عبده ورسوله الذى هو « طٰه » « الأنبياء » و«حجَّ » «المؤمنين» ، و « نور » « فُرقان » الملك العلام .

---

(١) قال صاحب نفح الطيب فى ترجمته : « هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح ، وكفعمى نسبة إلى كفر عثما ، قرية من قرى أعمال صفد ، كما تقول فى النسبة إلى بنى عبد الدار : عبدرى ، وإلى حصن كيفا : حصكفى . ولد عام (٨٤٠هـ - وتوفى سنة ٩٠٥ هـ) .

« فـالشعراء » و « النمل » بفضلـه تُخْبِر و « القصص » « العنكبـوت » «الروم » تـذْكُر ، و « لُقمان » فى « سجدتـه » يشكر ، و « الأحـزاب » كأيادى «سبأ » تقهر ، و«فاطر » « يسٓ » « لصافـاته » يُنْصر . و« صاد » مقلة « زُمَره » تنظر الأعلام ، فآل«حمٓ»[1] « بقتال » « فتحـه » فى « حُجُرات » « قـافه» قـد ظهــرت ، و « ذاريـات » «طــوره» و « نجمـه » و«قمــره » قـد عطــرت ، و«بالرحمٰــن» « واقعة » « حـديـده » يـوم « المجادلـة» قـد نُصرت ، وأبصار معانـديه فى « الحشر » يـوم « الامتحان »حَسَرة [2] . و«صَفٍّ » «جمعتـه» فإذا أجسـاد « المنافقين » «بـالتغابن » استعـرت ، ولـه «الطلاق» و « التحـريم » ومقام «المُلْك » و«القلم»، فناهيك به من مقام .

وفى « الحاقَّة » ، أعلى الله له « المعارج » « نوح » المطهر ، وخَصَّه من بين الإنس و « الجن » بيأيها « المزمِّل » ، وَيَأَيها « المُدَّثـر » ، وشَفَّعه فى «القيـامة» إذا دموع «الإنسان» « مرسلات » كالماء المتفجر .

ووجهه عند « نبأ » « النـازعات » وقد « عبس » الوجـه كالهلال المتنور ، ويـوم «التكويـر » و « الانفطـار » و هلاك « المطففين » و« انشقـاق » ذات «البروج » بشفاعتـه غير متضجر ، وقـد حرسـت لمولده السماء « بـالطارق » «الأعلى » .

وتمت « غاشية » العذاب إلى « الفجـر » على المَرَدة اللئام ، فهو « البلد » الأمين ..و« شمس » « الليل » و « الضحى » المخصوص « بانشراح» الصدر

---

(١) آل حمٓ : هى السور السبع التى تبدأ ب ﴿حمٓ﴾ وهى : غافر ، وفُصِّلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف .

(٢) حسر البصر ، كضرب : كَلَّ فهو حَسِير .

والمفضل « بالتين » و الزيتون .. المستخرج من أمشاج[1] «العَلَق » ، الطاهر العلى « القَدْر » ، شجاع «البريّة » يوم « الزلزال » .

إذ « عاديات » « القارعـة » تدوس أهلَ « التكاثر » ومشركى « العصر » أهلك الله به « الهُمَزَة » و أصحاب « الفيل » إذ مَكَروا « بقريش » ولم يتواصَوْا بـالحق ولم يتواصـوا بـالصبر ، المخصوص « بـالـدين » الحنيفى «والكوثـر » السلسال ، والمؤيد على « أهل الجحد » « بالنصر » .

صلى الله عليه وسلم وعلى آلـه وأصحابه ما « تَبَّتْ يَدا » مُعَـادِيه ، ونَعَم «بالتوحيد» مُوالِيه، وما أفصح « فلقُ » الصبح بين « الناس » وامتد الظلام .

(١) مَشَجَ بينهما ، كضرب : خَلَطَ ، والشىء مَشِيجٌ ، والجمع أمشاج ، كيتيم وأيتام .

من غريب خطب الإمام على بن أبى طالب

(٢٣ق.هـ - ٤٠هـ/ ٦٠٠ - ٦٦١م)

خطبة خالية من حرف الألف

* وفى شرح « ابن أبى الحديد » على « نهج البلاغة » .. خطبة رواها كثير من الناس للإمام « علىٍّ » كرَّم الله وجهه ، خالية من حَرف الأَلِف قالوا : تذاكَرَ قومٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أىّ حروف الهِجَاء أدخل فى الكلام؟.. فأجمعوا على الأَلِف .

فقال « عَلِىٌّ » رضىَ الله عنه :

« حَمِدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنَّتُهُ ، وَسَبَغَتْ نِعْمَتُهُ ، وَسَبَقَتْ غَضَبَهُ رَحْمَتُهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ ، وَبَلَغَتْ قَضِيتُهُ .

« حَمِدْتُهُ حَمْدَ مُقِرٍّ بِرُبُوبِيَّتِهِ مُتَخَضِّعٍ لِعُبُودِيَّتِهِ مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مُتَفَرِّدٍ بِتَوْحِيدِهِ ، مُؤَمِّلٍ مِنْهُ مَغْفِرَةً تُنْجِيهِ يَوْمَ يُشْغَلُ عَنْ فَصِيلَتِهِ (١) وَبَنِيهِ .

« وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشِدُهُ .. وَنَسْتَهْدِيهِ وَنُؤْمِنُ بِهِ .. وَنَتَوكَّلُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُ لَهُ شُهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ وَفَرَّدْتُهُ .. تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ .. وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ .. لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِى مُلْكِهِ .. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ فى صُنْعِهِ .

---

(١) فصيلة الرجل : رهطه الأدنون .

« جَلَّ عَنْ مُشِيرٍ وَوَزِيـرٍ .. وَعَنْ عَـوْنٍ وَمُعِينٍ .. وَنَصِيرٍ وَنَظِيرٍ عَلِمَ فَسَتَرَ .. وَبطَنَ فَخَبَرَ .. وَمَلَكَ فَقَهَـرَ .. وَعُصِىَ فَغَفَـرَ .. وَحَكَمَ فَعَـدَلَ .. لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ .

« لَيْس كَمِثْلِـهِ شَىْءٌ ، وَهُوَ بَعْـدَ كُلِّ شَىءٍ رَبٌّ مُتَعـزِزٌ بِعِزَّتِـهِ ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ .. مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ .. مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوِّهِ .

« لَيْسَ يُدْرِكُـهُ بصرٌ وَلَمْ يُحِطْ به نَظَـرٌ ، قَوِىٌّ مَنِيعٌ بَصِيرٌ .. سَمِيعٌ رَءُوفٌ رحيمٌ . عجز عن وَصْفِـهِ مَنْ يصِفُهُ ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ منْ يَعْرِفُـهُ... قَرُبَ فَبَعُدَ فَقَرِبَ .

« يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَـدْعُوهُ ، ويرزقُـهُ ويَحْبُوهُ ... ذُو لُطْفٍ خَفِىٍّ ، وَبَطْشٍ قَوِىٍّ ورَحْمَةٍ موسعةٍ وعُقُوبَةٍ مُوجعةٍ .

« رَحْمَتُهُ : جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُونِقَةٌ .. وَعُقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مَمْدُودةٌ مُوبِقَةٌ .

« وَشهِدْتُ بِبَعْثِ مُحَمَّـدٍ رَسُولِـهِ وَعَبْدِهِ .. وَصَفِيـهِ وَنَبِيِّهِ وَنَجيـهِ وَحَبِيبِه وَخَلِيلِهِ .. بَعَثَهُ فِى خَيْرِ عَصْرٍ .. وَحِينِ فَتْرَةٍ وَكُفْرٍ رَحْمَةً لِعَبِيـدِهِ .. وَمِنَّةً لِمَزِيدِهِ .. خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ .. وَشَيَّدَ بِهِ حُجَّتَهُ .. فَوَعظَ وَنَصَحَ .. وَبَلَّغَ وَكَدَحَ [1].

« رَءُوفٌ بِكُلِّ مُـؤْمِنٍ ، رَحِيمٌ .. سَخِىٌّ . رَضِىٌّ ، وَلِىٌّ - زَكِىٌّ .. عَلَيْـهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبَـرَكَـةٌ وَتَكْـرِيـمٌ مِنْ رَبٍّ غَفُـورٍ رَحِيم .. قَـرِيبٍ مُجِيبٍ .. وَصَّيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضرنِى بِـوَصِيَّـةِ رَبِّكُـمْ . وَذَكَّـرْتُكُمْ بِسُنَّـةِ نَبِيِّكُمْ ..

(١) كدَح : سعى سعيًا فيه تعب ومشقّة .

فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبةٍ تُسْكِنُ قُلُوبَكُـــمْ .. وَخَشْيَةٍ تُذْرِف دُمُـوعَكُمْ .. وَتَقِيَّــةٍ قَبْلَ يَوْم يُبْلِيكُمْ ويَـذْهِلُكُمْ .. يَوْم يَفُوزُ فِيــهِ مَنْ ثَقُـلَ وَزْنُ حَسَنَتِـــهِ .. وَخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِهِ .

« وَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَـةَ ذُلٍّ وَخُضُوعٍ .. وَشُكْـرٍ وَخُشُوعٍ .. بِتَوْبَةٍ وَنُزُوعٍ.. وَنَدَمٍ وَرُجُوعٍ .. وَلْيَغْتَنِمْ كُلُّ مُغْتَنِمٍ مِنكُمْ صِحَّتَهُ قَبْلَ سَقَمِهِ.. وَشَيْبَتَهُ قَبْلَ هِـرَمِهِ .. وَسَعَتَهُ قبل فقره ، وَفَـرْغَتَهُ[1] قَبْلَ شُغْلِـهِ .. وَحَضرَهُ قَبْلَ سَفَـرِهِ .. قَبْلَ تكَبُّـرٍ وَتَهَرُّم .. وَتَسَقُّمٍ يَمَلُّـهُ طَبِيبُهُ ، وَيُعْـرِضُ عَنْـهُ حبِيبُـهُ .. وَيَنْقَطِعُ عُمُرُهُ .. وَيَتَغيرُ عَقْلُهُ .

« ثُمَّ قِـيلَ : هُـوَ مَـوعُوكٌ .. وَجِسْمُـهُ مَنْهُـوكٌ .. ثُمَّ جُـدَّ فِى نَـــزْعٍ شَدِيـدٍ .. وَحَـضرَهُ كُلُّ قَــرِيبٍ وَبَعِيــدٍ .. فَشَخَصَ بَصَرُهُ .. وَطَمِــحَ نَظَرُهُ .. وَرَشَحَ جَبِينُهُ.. وَعَطَفَ عَـرِينُهُ .. وَسَكَنَ حَنِينُـهُ .. وَحَزَنَتْـهُ نَفْسُـــهُ .. وَبَكَتْهُ عِرْسُــهُ وَحُفِـرَ رَمْسُهُ.. وَيُتِّمَ مِـنْـهُ وَلَـدُهُ .. وَتَفَرَّقَ مِنْـــهُ عَـدَدُهُ .. وَقُسِمَ جَمْعُــهُ .. وَذَهَبَ بَصَـــرُهُ وَسَمْعُهُ .. وَمُدِّدَ وَجُـرِّدَ وَعُـــرِّيَ وَغُسِّــلَ وَنُشِّـــفَ .. وَسُجِّيَ[2] وَ بُسِطَ لَهُ ... وهُـيِّـئَ وَنُـــشِرَ عَلَـيْـهِ كَفَنُـــهُ .. وَشُـــدَّ مِنْــهُ ذَقْنُـــهُ.. وَقُمِّـصَ وَعُمِّـــمَ.. وَوُدِّعَ وَسُلِّـــمَ..وَحُمِـلَ فَوْقَ سرَيرٍ .. وَصُلِّيَ عَلَيْــهِ بِتَكْبِيرٍ .. وَنُقِـلَ مِنْ دُورٍ مُزَخْرَفَةٍ .. وَقُصُــورٍ مُشَيَّـدَةٍ .. وَحُجَـرٍ مُنَجَّـدَةٍ ..وَجُـعِلَ فى ضرَيح مَلْحُودٍ .. وَضِيقٍ مَرْصُـودٍ .. بِلَــبِنٍ مَنْضُــودٍ .. مُسَقَّفٍ بِجَلْمُــودٍ .. وَهِيـلَ عَلَيْهِ حَفْـرُهُ ..وَحُثِيَ عَلَيْهِ مَدَرُهُ ..

---

(١) الفَرْغَة : الواحدة من الفراغ .. تقول : فرغتُ فَرْغَة ، كقولك : ضربتُ ضرْبةً .

(٢) سُجِّيَ الميت : بُسط عليه رداء .

وَتَحَقَّقَ حَضرَهُ .. وَنُسِىَ خَبَرُهُ .. وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَصَفِيُّهُ .. وَنَدِيمُهُ وَنَسِيبُهُ .. وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِينُهُ وَحَبِيبُهُ .. فَهُوَ حَشْوُ قَبْرٍ .. وَرَهِينُ قَفْرٍ يَسْعَى بِجِسْمِهِ دُودُ قَبْرِهِ .. وَيَسيلُ صَديدُهُ مِنْ مَنْخَرِهِ .

« يُسحَقُ بِرُمَّتِهِ لَحْمُهُ .. وَيَنْشَفُ دَمُهُ .. وَيَرِمُّ عَظْمُهُ حَتَّى يَوْمَ حَشْرِهِ فَنُشِرَ [١] مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ .. وَيُدْعَى بِحَشْرٍ وَنُشُورٍ .. فَثَمَّ بُعْثِرَتْ قُبُور [٢] .. وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ .. وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِدِّيقٍ و شَهِيدٍ .. وَتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ قَدِيرٌ .. بِعَبْدِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ .

« فَكَمْ مِنْ زَفْرَةٍ تُضْنِيهِ وَحَسْرَةٍ تُنْضِيهِ .. فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ .. وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ .. بَيْنَ يَدَىْ مَلِكٍ عَظِيم .. وَبِكُلِ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ عَلِيم .

« فَحِينَئِذٍ يُلْجِمُهُ عَرَقُهُ .. وَيَحْصِرُهُ قَلَقُهُ عِبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ .. وَصرْخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ .. وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ .. زَاوَلَ جَرِيدَتَهُ .. وَنَشَرَ صَحِيفَتَهُ .. نَظَرَ فى سُوءِ عَمَلِهِ .. وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ .. وَيَدَهُ بِبَطْشِهِ .. وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ .. وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ .. وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ .. فَسُلْسِلَ جِيدُهُ .. وَغُلَّتْ يَدُهُ .. وَسِيقَ [٣] فَسُحِبَ وَحْدَهُ ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ.

« فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيم.. وَيُسْقَى شَرْبَةً مِنْ حَمِيم .. تَشْوِى وَجْهَهُ ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ .. وَتَضْرِبُهُ زَبَنِيَّتُهُ [٤] بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيد .. وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ

(١) أى : بُعِثَ .

(٢) بُعثرت قبور : انتثرت ونُبِشَت .

(٣) وسيق : يُسحب وحده ، لأنه إذا كان معه غيره كان كالمتأسى بغيره ، فكان أخفّ لألمه وعذابه ، وإذا كان وحده كان أشد ألمًا وأهول .

(٤) زَبَنِيَّة : واحد الزبانية ، على وزن عِفْرِيَّة .. والعرب لا تكاد تعرفُ هذا وتجعله من الجمع الذى لاواحد له ، مثل : أبابيل وعبابيد .. وأصل الزَّبَن فى اللغة : الدفع . وسُمّى بعض الملائكة زبانية لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

نُضْجِـهِ كَجِلْدٍ جَـدِيـدٍ.. يَسْتَغِيثُ فَتُعْـرِضُ عَنْهُ خَـزَنَـةُ جَهَنَّمَ .. وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبَثُ حِقْبَةً يَنْدَمُ . « نَعُوذُ بِرَبٍّ قَدِيرٍ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ ».

وَنَسْأَلُهُ عَفْـوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ .. وَمَغْفِـرَةَ مَنْ قَبِلَهُ .. فَهُـوَ وَلِيٌّ مَسْأَلَتِي .. وَمُنْجِحُ طِلْبَتِي .. فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ جُعِلَ فِي جَنَّتِـهِ بِعِزَّتِهِ .. وَخُلِّدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ .. وَمَلَكَ بِحُورٍ عِينٍ[1] .. وَحَفَدَةٍ .. وطِيفَ عَلَيْـهِ بِكُئُوسٍ وَسُكِّنَ حَظِيرَةَ قُدْسٍ .. وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ .. وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ[2] .. وَشَرِبَ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ[3] .. وَمُزِجَ لَهُ بِزَنْجَبِيلٍ مُخَتَّمٍ بِمِسْكٍ .. وَعَبِيرٍ مُسْتَدِيمٍ لِلْمُلْكِ .

« مُسْتَشْعِرٍ لِلسُّرُورِ .. يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ .. لَيْسَ يَصْدَعُ مِنْ شُرْبِهِ، وَلَيْسَ يَنْزِفُ»[4] .

« هَذِهِ مَنْزِلَةُ مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .. وَحَـذَّرَ نَفْسَهُ مَعْصِيَتَهُ .. وَتِلْكَ عُقُوبَةُ مَنْ جَحَدَ مَشِيئَتَهُ .. وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَتَهُ .. فَهُوَ قَوْلٌ فَصْلٌ .. وَحُكْمٌ عَدْلٌ وَخَبَرٌ قَصَصٌ قَصٌّ .. وَوَعْظٌ نَصٌّ » .

« تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .. نَـزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُسٍ مُبِينٍ عَلَى قَلْبِ نَبِيٍّ مُهْتَدٍ رَشِيدٍ ... صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلٌ سَفَرَةٌ مُكَرَّمُـونَ بَرَرَةٌ .. عُذْتُ بِرَبٍّ عَلِيمٍ .. رَحِيمٍ كَرِيمٍ .. مِنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لَعِينٍ رَجِيمٍ » .

« فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعُكُمْ .. وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ .. وَلْيَسْتَغْفِـرْ كُلُّ مَرْبُـوبٍ مِنْكُمْ لِي وَلَكُمْ .. وَحَسْبِي رَبِّي وَحْدَهُ » .

---

(١) تقديره : ومَلَكَ حورًا عينًا .

(٢) تسنيم : اسم ماءٍ فى الجنة ، سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه يجرى من فوق الغُرَف والقصور .

(٣) السلسبيل : اسم عين فى الجنة .

(٤) ليس ينزف : لا يخمر كما يخمر شارب الخمر فى الدنيا .

خطبة للإمام « علىّ » يَذْكُر فيها عجيب خِلقة (الطّاووس) !!

(خِلقةُ الطّيُور)

«ابْتَدَعَهُم خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيوانٍ وَمَواتٍ، وسَاكِنٍ وذى حَرَكاتٍ، وأقامَ مِنْ شَوَاهِدِ البيِّنات عَلَى لَطيفِ صَنْعَتِهِ، وَعظِيمِ قُدْرَتِهِ، ما انقادَتْ لَهُ العقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، ومُسَلِّمـةً لَهُ ، ونَعَقَتْ [١] فى أَسْماعِنـا دلائِلُـهُ عَلَىَ وحْدَانيتـهِ ، وَمَا ذَرَأَ [٢] مِنْ مختَلفِ صُوَرِ الأَطْيارِ التَّى أَسْكَنَها أخادِيدِ [٣] الأَرضِ، وخُروقَ فِجَاجِها [٤] وَرَواسِى أَعـلامِها [٥]، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَـةٍ مختَلِفَةٍ ، وَهَـيْئـاتٍ مُتَباينـةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فى زِمامِ التَّسْخِيرِ ، وَمُرَفْرِفَةٍ [٦] بأَجْنِحَتِها فى مخارِقِ الجَوِّ [٧] المُنْفسِحِ، والفَضَاءِ المنْفـرِجِ، كَوَّنَهَا بَعْدَ إذْ لَمْ تَكُنْ فى عَجَائِبِ صُـوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهـا فى حِقَـاقٍ [٨] مَفَاصِـلَ مُحْتَجِبَةٍ [٩] ،ومَنَعَ بَعْضَهـا بِعَبَالَـةِ [١٠] خَلْقِهِ

---

(١) نَعَقَتْ : صاحت . نَعَقَ بغَنَمِهِ : أى صاح بها .

(٢) ذَرَأَ : خَلَقَ .

(٣) أخاديد : جمع أُخدود ،وهى الشقوق فى الأرض .

(٤) خُروق : جمع خُـرق ، وهو الأرض الواسعة تتخـرَّق فيها الرياح . والفِجَـاج : جَمْع فَجّ ، أى الطُرق الواسعة .

(٥) أعلامها : جبالها . ومفردها عَلَم .

(٦) مرفرفة : مِنْ رفرف الطائر أى : بَسَط جناحيه .

(٧) مَخارِق : جمع مخرق ، أى فلاة .

(٨) حِقاقٍ : جمع حُقّ . وهو مجتمع المفصلين .

(٩) مَفاصل مُحتجبة : مُستترة باللّحمِ وَالجِلْد .

(١٠) عَبالة : ضخامة ، وامتلاء الجسد.

أَنْ يَسْمُوَ[1] فى الهَوَاءِ خُفُوفًا[2] وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفًا[3] ، وَنَسَقَهَا[4] عَلَى اخْتِلافِهَا فى الأَصَابيغِ[5] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقيقِ صَنْعَتِهِ ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فى قَالَبِ[6] لَوْنٍ لايَشُوبهُ غير لَوْنِ ما غُمِسَ فيه ؛ وَمَنها مَغْمُوسٌ فى لَوْن صِبْغ قد طُوِّقَ[7] بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ » .

(الطّاووس)

« وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا : الطَّاووسُ الَّذى أقامَه فى أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فى أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ[8] ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ[9] وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إذا دَرَجَ[10] إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَابِهِ[11] مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ[13] دارِىٌّ[14] عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ[15]

---

(١) يَسْمُو : يرتفع .

(٢) خفوفًا : سرعة وخِفَّة .

(٣) الدَّفيف : مرور الطائر فُوَيْقَ الأرض .

(٤) نَسَقَها : رَتَّبها .

(٥) الأصابيغ : جمع أصباغ ، وجمع صبغ وهو اللون ، أو ما يصبغ به .

(٦) قالب : مثال تُفَرَّغ فيه الجواهر لتأتى على قَدْره . والطائر ذو اللون الواحد كأنها أُفرِغ فى قالب من اللون .

(٧) طُوِّق : أى أن جميع بدنه بلون واحد ، إلا لون عُنُقِهِ فإنه يخالف ألوان سائر بدنه ، كأنه طُوقٌ صِيغَ لِحِلْيته .

(٨) تنضيد : نَظْم وترتيب .

(٩) أشرج قصبه : أى داخل بين آحاده ، ونَظَّمها على اختلافها فى الطول والقِصر .

(١٠) دَرَجَ إلى : مشى إلى .

(١١) سَمَا بِهِ : ارتفع به أى رفَعه .

(١٢) مُطِلاًّ على رأسه : مُشرِفًا عليه كأنه يُظَلِّلهُ .

(١٣) قِلْع : شراع سَفينة .

(١٤) دَارِىٌّ : جالب العِطْر مِنْ دَارِين .

(١٥) عَنَجَهُ : جَذَبَهُ فَرفعه ، من عَنَج البعَير إذا جذبته بِخِطَامه ، فرددته على رِجْليه .

يَخْتَالُ[1] بِأَلْـوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِـزَيفَانِه[2] . يُفْضِى[3] كَإِفْضَاءِ الـدِّيكَة ، وَيَؤُزُّ بِمَلاَقِحِه[4] أَزَّ الفُحُولِ[5] المُغْتَلِمَةِ[6] لِلضِّرَابِ[7] أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعايَنَةٍ[8] ، لاَ كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ . وَلَوْ كَانَ كَـزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أنه يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَـا مَدَامِعُه[9] فَتَقِفُ فى ضَـفَّتَى[10] جُفُونِـهِ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ[11] ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لا مِنْ لِقَاحِ[12] فَحْلٍ سِوَى الدمع المُنْبَجِسِ[13]، لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الغُرَاب[14] إِتَخَـالُ قَصَـبَهُ[15] مَدَارِى[16] مِنْ فِضَّـةٍ ، ومـا أُنبِتَ عَلَيْهَـا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِـه[17] وشُمُوسِـهِ خَالِصَ

(١) يَخْتَالُ : يعجب ويتكبر .

(٢) يَميسُ : يتبختر بزيفان ذَنَبِه .. وأصل الزيفان : التبختر أيضًا ، ويريد به هنا حركة زيل الطاووس يمينًا وشمالاً .

(٣) يُفضى : أى يذهب إلى أُنثاهُ ويُسفد كما تذهب الدِّيكة .

(٤) يَؤُزّ: يُسفد ، أى يواقع أنثاه . ملاقحه : أدوات اللقاح وأعضاؤه ، وهى آلات التناسل .

(٥) أَزَّ الفُحول : أى أزًا مثل أزِّ الفحول ، والفحل مفردها .

(٦) المغتلمة : ذات الغَلَمة والشهوة والشَّبَق الجنسى .

(٧) الضراب : لقاح الفحل لأنثاهُ .

(٨) على معاينة : أى اذهب وعاين صدق ما أقول .

(٩) تَسْفَحُهَا : أى تُرسلها أوعية الدَّمْع .

(١٠) ضَفَّتَى جُفُونِهِ : جانبا جفونه . استعاره من ضفّتى النهر .

(١١) تَطْعَمُ : تَذُوقَه كأنها ترشّفه .

(١٢) لِقَاحِ فَحْلٍ : ماء التناسل يُلقح به الأنثى .

(١٣) المُنْبَجِس : النابع من العين .

(١٤) مُطَاعَمَةِ الغُراب : تلقيحه لأنثاه . وقالوا : إن مُطاعمة الغُراب بانتقال جزءٍ من الماء المستقر فى قانصة الذَّكَر إلى الأنثى ، تتناوله من منقاره .

(١٥) قَصَبَهُ: أعمدة ريشه .

(١٦) مَـدَارِىَ : جَمْع مِدرى أو مِـدراة . قيل : يُصنع من حـديد أو خشب على شكل سِن من أسنـان المِشْط ، وأطول منه ، ويستعمله من لامشط له .

(١٧) دَارَتِهِ : الدّارات : هالات القَمر .

العِقْيَانِ [١] وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ [٢] . فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنًى [٣] جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الحُلَلِ [٤] ، أَوْ كَمُوفِقِ عَصْبِ اليَمَنِ [٥] . وإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلوانٍ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ المُكَلَّلِ [٦] . يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ المُخْتَالِ [٧] ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ [٨] وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[٩] ؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا [١٠] مُعْوِلاً [١١] بِصَوتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنْ اسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لأَنَّ قَوائِمَهُ حُمْشٌ [١٢] كقَوائِمِ الديكَةِ الخِلاَسِيَّةِ [١٣] وقد نَجَمَتْ [١٤] مُنْ ظُنْبُوبِ [١٥] ساقه صيصةٌ[١٦] خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فى مَوْضِعِ العُرْفِ قُنْزُعَةٌ [١٧] خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ [١٨]

---

(١) العِقْيان : الذهب الخالص ، أو ماينمو منه فى معدنه .
(٢) فِلَذ : جمع فِلذة ، أى قِطع .
(٣) جَنى : أى مُجتنى جمع كل زهر ، لأنه جمع كل لون ، ومنه قوله تعالى : « وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دان » .
(٤) المَوشى : المنقوش المنمنم .
(٥) العَصْب : ضرب من البرود منقوش . والبرود جمع بُردة .
(٦) اللُّجين : الفضة . والمكلَّل : المزين بالجواهر . نُطِّق : جُعِل منطقة .
(٧) المرح : المُعجَب بنفسه ، والمُختال : الزاهى بحسنه .
(٨) سرباله : السربال : مطلق اللباس ، وهو الدرع خاصة .
(٩) وِشاحه : الوشاح : نظامان من لؤلؤ وجوهر ، يخالف بينهما ، ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به ، حتى يكونا كدائرتين ، احداهما داخل الأخرى ، كل جزء من الواحدة يقابل جزءًا من قرينتها ، ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف .
(١٠) زَقَا : صاح .
(١١) مُعْوِلاً : من أعول ، أى رَفع صوته بالبكاء .
(١٢) حُمْش : جمع أحمش ، أى دقيق .
(١٣) الدِّيَكَة الخِلاسية : هى الديكة المتولدة من دجاجتين ، هندية وفارسية .
(١٤) نَجَمَتْ : نَبَتَتْ .
(١٥) ظُنْبُوبِ ساقه : حرف عظمه الأسفل .
(١٦) صيصية : شوكة تكون فى رِجْل الديك .
(١٧) القُنْزُعَة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى .
(١٨) مُوشَّاة : مزينة ، منقوشة .

وَمَخْرَجُ عُنُقِـهِ كَالإبرِيقِ ، وَمَغْـرِزُهَا[1] إلىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَـصِبْغ الوَسِـمَةِ[2] اليَمَانيَّـةِ ، أَوْ كَحَـرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِـرآةً ذَاتَ صِقَـالٍ[3] ،وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّـعٌ بِمِعْجَـرٍ أَسْحَمَ[4] ؛ إلاَّ أنَّـهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَـائِهِ ، وَشِـدَّةِ بَرِيقِـهِ ، أَنَّ الخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ القَلَمِ فى لَوْنِ الأُقْحَوانِ[5] أَبْيَضُ يَقَقٌ[6] ، فَهُوَ بِبَياضِهِ فى سَـوَادِ مَا هُنالِك يَأْتَلِقُ[7] ، وَقَلَّ صِبْـغٌ إلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ[8] ، وَعَـلاهُ[9] بِكَثْرَةِ صَقَالِـهِ وَبَرِيقِهِ . وَبَصِيـصِ[10] دِيبَاجِـهِ وَرَوْنَقِهِ[11] ، فَهُـوَ كَالأَزاهِـيرِ المَبْثُوثَـةِ[12] ، لَـمْ تُـرَبِّهـا[13] أَمْـطَارُ رَبيعٍ ، ولا شُمُوسُ قَيْظٍ[14] . وَقَدْ يَنْحَسِرُ[15] مِنْ رِيشِهِ ، وَيَعْرَىٰ مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى[16] ، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا ، فَيَنْحَتُّ[17] مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوراقِ الأَغْصَنِ ، ثُمَّ يَتَلاحَقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ ، لا يُخَالِفُ

(١) مغرزها : الموضع الذى غرز فيه العنق منتهيًا إلى مكان البطن .

(٢) الوسِمة : نبات يخضب به . (٣) صِقال : جلاء ، وضوح .

(٤) مِعْجَر : ثوب تعتجر بـه المرأة ، فتضع طرفه على رأسهـا ، ثم تمر الطرف الآخـر من تحت ذقنها ، حتى ترده إلى الطَـرف الأول ، فيغطى رأسها ، وعنقهـا ، وعاتقهـا ، وبعض صدرهـا ، وهو معنى التلفح هنا . والأسحم : الأسود .

(٥) الأقحوان : البابونج نبات له زهر . (٦) يَقَق : شديد البياض .

(٧) يأتلق : يلمع . (٨) قِسْط : نصيب .

(٩) عَلاهُ : أى فاق اللون الذى أخذ نصيبًا منه بكثرة جلائه .

(١٠) بصيص : لمعان ، بريق . (١١) رونقه : حُسْنه وجماله .

(١٢) الأزاهير : جمع أزهار : جمع زهر ، فهى جمع الجمع . والمبثوثة : المنشورة .

(١٣) لم تُربِّها : فعل من التربية . (١٤) قيظ : حَرٌّ.

(١٥) ينحسر : أى ينكشف بأن يسقط ريشه .

(١٦) تَتْرَى : أى شيئًا بعد شيء ، وبينهما فترة .

(١٧) ينحتُّ : يسقط وينقشر .

سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، ولايَقَعُ لَوْنٌ فى غَيْرِ مَكَانِهِ ! وإذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وتَارةً خُضرَةً زبرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً [1] ، فكَيْفَ تَصِلُ إلىٰ صِفَةِ هذا عَمَائِقُ [2] الفِطَنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرائِحُ العُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أقوال الواصِفِين !» .

« وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوهَام أَنْ تُدْرِكَهُ ، والأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ ! فَسُبْحانَ الذى بَهَرَ [3] العُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ [4] لِلْعُيُونِ ، فَأَدرَكَتْهُ مَحْدُودًا مُكَوَّنًا ، ومُؤَلَّفًا مُلَوَّنًا ، وَأَعجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ !» .

وسُبْحان من أَدْمَج قوائم الذرَّة [5] والهَمَجَة [6] إلى ما فوقها من خَلْقِ الحِيتانِ والأَفْيلَةِ ، وَوَأَى [7] عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لا يضطرب شبح مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوح إلا وَجعَل الحِمَام مَوْعِدَهُ [8] ، والفَنَاء غايتَهُ » . !!

* * *

(١) عسجدية : ذهبية .

(٢) عمائق : جمع عميقة .

(٣) بَهَر العقول : قهرها فردَّها .

(٤) جلاه : كشفه وأبانه .

(٥) الذرة : واحدة الذر

(٦) الهَمَجَة : ذباب صغير .

(٧) وَأَى : وَعَد .

(٨) الحِمام : الموت .

أيضًا خطبة له « كرّمَ الله وجهه » يَذكُر فيها بديع خِلقَة الخفاش(*) !!

(حَمدُ الله وتنزيهُه)

الْحَمْدُ لله انْحَسَرَت (١) الأَوْصَاف عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ . وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ!

« هُوَ الله الْحَقُّ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَىٰ العُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ العُقُولُ بِتَحدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً . خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ ، ولامَشُورَةِ مُشِيرٍ ، ولا مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ . فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ وانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ » .

(خِلقَة الخفاش)

« وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، وَعجَائِبِ خِلْقَتِهِ ، مَا أَرانَا مِنْ غَوامِضِ الحِكْمَةِ فِى هَـذهِ الخَفَافِيش الَّتى يقْبِضُهَا الضيَاءُ البَاسِطُ لِكُلِّ شَىءٍ ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلامُ القَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ (٢) أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِى بِهِ فِى مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ بِعَلانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَها بِتَلألُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ المُضِىِّ فِى سُبُحَاتِ(٣) إِشْرَاقِهَا ،

(*) الخفاش : حيوان ثديى يطير ، ويسمى الوطواط .

(١) انحسرت : انقطعت . (٢) العَشا : سوء البصر ، وضعفه .

(٣) سُبُحات النوْر : درجاته وأطواره .

وَأَكَنَّها فِى مَكَامِنِهَا عَنِ الذهَابِ فِى بُلَجِ ائْتِلاقِهَا [1] . فَهِىَ مُسْدَلَةُ الجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِى الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَلا يَرُدُّ أَبصارَهَا إِسْدَافُ [2] ظُلْمَتِهِ ، ولا تَمْتَنِعُ مِنَ المُضِى فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ [3] . فَإِذَا أَلْقَت الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ [4] نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَىٰ الضِّبَابِ فِى وِجَارِهَا [5] ، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا [6] ، وَتَبَلَّغَتْ [7] بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ المَعَاشِ فى ظُلَمِ لَيَالِيهَا . فَسُبحَانَ مَنْ جَعَلَ الليْلَ لهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا ، والنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا ! وَجَعَلَ لهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّيَرَان ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ [8] ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ [9] ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ العُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلامًا [10] ، لهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا . وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلا . تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاجِئٌ إِلَيْها ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ . لا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ . وَيَحْمِلَهُ لِلْنهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فَسُبْحَانَ البَارِئ لِكُلِّ شَىء ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلا مِنْ غَيْرِهِ [11] !! » .

---

(١) ائتلاقها : لمعانها وبريقها . والبُلَج : الضوء ووضوحه .

(٢) إسْداف : إظلام . أسدف الليل : أظلم .   (٣) دُجُنَّتِهِ : ظُلمته . وغسق الدُّجنة : شدّتها .

(٤) أوضاح : جمع وَضَح ، وهو هنا : بياض الصبح .

(٥) الضِّباب : جمع ضَبّ : وهو الحيوان الزاحف المعروف . والوِجار : الحجر .

(٦) مآقيها : المآقى جمع مأقٍ ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . والمقصود : أطبقت الأجفان على عيونها.

(٧) تبلّغت : اكتفت ، أو اقتاتت .

(٨) شظايا : جمع شظية ، وهى الفلقة من الشىء . أى كأنها مؤلفة من شقق الآذان .

(٩) قصب : جمع قصبة ، وهى عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح . وقد يكون مجردًا عن الزّغب فى بعض الحيوانات مما ليس بطائر ، كبعض أنواع القنفذ والفئران .

(١٠) أعلامًا : رسومًا ظاهرة .

(١١) خلا من غيره : تقدمه من سواه فحاذاه . راجع نهج البلاغة : ص ٢١٦-٢١٨ .

وللإمام « عليّ » رَضِىَ الله عنه أيضًا

خطبة فى وصف الحيوان

(حمد الله تعالىَ)

« الْحَمْـدُ لله الَّذِى لا تُـدْرِكُهُ الشَّـوَاهِـدُ ، ولا تَحْوِيهِ المَشَـاهِدُ ، وَلاَ تَـرَاهُ النَّوَاظِرُ ، ولاَ تَحْجُبُه السَّوَاتِرُ ، الـدَّالّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ ، وباشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لا شَبَهَ لَهُ . الذِى صَدَقَ فِى مِيعَادِهِ ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَـادِهِ ، وَقَامَ بـالقِسْطِ فِى خَلْقِـهِ ، وَعَدلَ عَلَيْهِمْ فِى حُكْمِـهِ مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إليه مِنَ الفَنَـاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ . وَاحدٌ لا بِعَدَدٍ [(١)] ، وَدَائِمٌ لا بِأَمَدٍ ، وَقَـائِمٌ لا بعَمَـدٍ [(٢)] . تَتَلَقَّـاهُ الأَذْهَـانُ لا بِمُشَـاعَـرَةٍ [(٣)] ، وَتَشْهَـدُ لَـهُ المَرَائِـى [(٤)] لاَ بِمُحَـاضَرَةٍ لم تُحِطْ بِهِ الأَوْهَـامُ ، بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا بِهَا ، وَبِهَا امْتَنَـعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِذِى كِبَرٍ امْتَـدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلا بِـذِى عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِـهِ الغَايَـاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا ؛ بَـلْ كَبُرَ شَأْنًـا ، وَعَظُـمَ سُلْطَانًا » .

---

(١) واحد لا بعدد : أى لا يتكون من أجزاء . واحدٌ . أحد .

(٢) الأمد : الوقت . أى هو دائم غير مؤقت ، وليس له نهاية .

(٣) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شىء منه عليها .

(٤) المرائى : جمع مرأى ، وهى المنظر . أى تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها . شاخصًا الأبصار .

(الرسول الأعظم)

« وَأَشْهَـدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْـدُهُ وَرَسُولُـهُ الصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ الـرَّضِيُّ ، صلى الله عليه وعلى آلِهِ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الحُجَجِ ، وَظُهُورِ الفَلَجِ [1] ، وَإِيضَاحِ المَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا[2] بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَىٰ المَحَجَّـةِ دَالًّا عَلَيْهـا ، وَأَقـامَ أَعْـلَامَ الاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاس[3] الإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَا الإِيمَان وَثِيقَةً »

(منها فى صِفَة خَلق أصناف من الحيوان)

« وَلَوْ فَكَّـرُوا فِى عَظِيمِ القُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَـةِ ، لَرَجَعُـوا إِلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَخَـافُـوا عَـذَابَ الحَرِيقِ ، وَلَكِنِ القُلُـوبُ عَلِيلَـةٌ ، وَالْبَصَـائِرُ مَـدْخُـولَـةٌ ! أَلاَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَـا خَلَق ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَـهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ ، وَسَـوَّىٰ لَـهُ العَظْمَ وَالبَشَرَ [4] ! انْظُـرُوا إِلَىٰ النَّمْلَةِ فِى صِغَـرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَـةِ هَيْئَتِهَا ، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْـظِ البَصَرِ ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَـا ، وَصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَـا ، تَنْقُلُ الحَبَّـةَ إِلَىٰ جُحْـرِهَـا ، وَتُعِـدُّهَا فِى مُسْتَقَـرِّهَا . تَجْمَعُ فِى حَـرِّهَـا لِبَرْدِهَا ، وَفِى وِرْدِهَـا لِصَدرِهَـا[5] ؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا[6] ؛ لاَ يُغْفِلُهَا المَنَّانُ ، وَلاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ ، وَلَوْ فِى الصَّفَا[7] الْيـَابِسِ ، وَالْحَجَرِ الجامِسِ ! وَلَـوْ فَكَّـرْتَ فِى مَجَارِى أَكْلِهَـا ، فِى

---

(١) الفَلَج : الظَّفَر ، وظهور الفلج : علوّ كلمة الدِّين .

(٢) صادعًا : جاهرًا.

(٣) الأمراس : جمع مَرَس وَمرَسَة : الحبال ، والمفرد : حبل .

(٤) البَشَر : جمع بَشَرة ، وهى ظاهر الجلد الإنسانى .

(٥) الصَدَر : الرجوع بعد الورود .

(٦) بوفقها : أى بما يوافقها من الرزق ، ويلائم طبعها .

(٧) الصفا : الحجر الأملس لا شقوق فيه . الجامس : الجامد .

عُلوِهَا وَسُفْلِهَـا ، وَمَا فِي الجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ[1] بَطْنِهَا ، وَمَـا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَـا عَجَبًا ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًـا ! فَتَعَالَى الَّذِى أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَـا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ . وَلَـمْ يُعِنْـهُ عَلَى خَلْقِهَا قَـادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْـرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَـاتِهِ ، مَادَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَىءٍ ، وَغَـامِضِ اخْتِـلَافِ كُلِّ حَىٍّ . وَمَـا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والقَوِىُّ والضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إلا سَوَاءٌ » .

(خِلقةُ السَّماء والكُون)

« وَكَذِلكَ السَّمَاءُ والهَوَاءُ ، والرِّيَاحُ وَالْمَاءُ . فَـانْظُرْ إِلَىٰ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ ، والنَّبَـاتِ وَ الشَّجَرِ ، والمَاءِ وَالْحجَـرِ ، وَاخْتِلَافِ هَـذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّـرِ هَـذِهِ البِحَارِ ، وَكَثْـرَةِ هَذِهِ الجِبَـالِ ، وَطُولِ هـذِهِ الـقِلَالِ[2] وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَـاتِ وَالأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَـالْوَيْـلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَـدِّرَ ، وَجَحَدَ الْمُدَبِّـرَ ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَـالنَّبَاتِ مـا لَـهُمْ زارع ، ولا لاخْتِـلافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ، وَلَـمْ يَلجَأُوا[3] إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَـوْا ، وَلاَ تَحْـقِـيقٍ لِمَا أَوْعَوْا[4] ، وَهَلْ يَكُـونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غيْرِ جَانٍ ! » .

(خِلقةُ الجرادة)

« وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَـرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْـرَاوَيْنِ ، وَأَسْـرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ[5] ، وَجَعَلَ لها السَّمْعَ الخَفِىَّ ، وَفَتَحَ لها الفَمَ السَّوِىَّ ،

---

(١) الشراسيف : مقاطّ الأضلاع : وهى أطرافها التى تشرف على البطن.
(٢) القِلال : جمع قُلّة ، وهى رأس الجبل أو قمته . (٣) لم يلجأوا : لم يستندوا .
(٤) أوعاه : وعاه : أى حفظه .
(٥) قمراوين : أى مضيئين ، كأن كلاً منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .

وَجَعَلَ لَهَا الحِسَّ القَوِىَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ [1] بِهِمَا تَقْبِضُ . يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِى زَرْعِهِمْ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا [2] ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِى نَزَوَاتِهَا [3] ، وَتَقْضِىَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدِقَّةً .

« فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِى « يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا » ، وَيُعَفِّرُ لَهُ خَداًّ وَوَجْهًا ، وَيُلْقِى إِلَيْهِ بِالْطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا ، وَيُعْطِى لَهُ القِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لأَمْرِهِ ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَ النَّفَسَ ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى [4] وَالْيَبَسِ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهذَا غُرَابٌ ، وَهَذَا عُقَابٌ . وَهَذَا حَمَامٌ . وَهَذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ « السَّحَابَ الثِّقَالَ « فَأَهْطَلَ [5] دِيمَهَا [6] ، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا [7] . فَبَلَّ لأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدوبِهَا [8] » .

* * *

(١) المنجل آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع . قيل : إنه أراد بهما - ها - رجلى الجرادة لاعوجاجها وخشونتها .

(٢) ذبها : دفعها .

(٣) نزواتها : وثباتها ، نزا على الشىء : وثَبَ عليه .

(٤) الندى : ضد اليبَس بالتحريك .

(٥) أهطل : أمطر : والهطل : تتابع المطر والدمع .

(٦) ديمها : الديم : جمع ديمة ، أى مطر يدوم فى سكون ، بلا رعد ولا برق .

(٧) عدد قسمها : أحصى ما قدر منها لكل بقعة .

(٨) جدوبها : يبسها لاحتجاب المطر عنها .راجع « نهج البلاغة » تنظيم د. صبحى الصالح : ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

وله - كرم الله وجهه أيضًا

الخطبة الخالية مِنَ النُّقط !!

ثم ارتجل الإمام « عليٌّ » -كرَّم الله وجهه -خطبة أُخرى خالية من النُّقطِ، وهى : « الحمدُ للّهِ الملِكِ المحمودِ . المالكِ الودودِ ، مصور كل مولودٍ ، ومآل كل مطرود . ساطح المهَادِ ، وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ، ومسهّل الأوطار[١] ، عالم الأسرار ومُدركها ، ومُدَمِّر الأملاك ومُهْلكها ، ومُكَوِّر[٢] الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدِّرها . عم سماحُه [٣]وكمُلَ رُكامُه[٤] وهمل وطاوع السؤال والأمل ، وأوسع الرمل وأرمل[٥] » .

« أحمده حمدًا ممدودًا ، وأُوَحِّدُه كما وحَّده الأوَّاه [٦] ، وهو الله لا إله للأُمم سواه ، ولا صادع[٧] لما عدله وسوَّاه . أرسل محمّدًا عَلَمًا للإسلام ، وإمامًا للحُكَّام . مسدِّدًا للرعاع ، ومعطِّلَ أحكام ودّ وسواع[٨] أَوْصَل الله له الأكرام ،

---

(١) الأوطار : جمع وطر .. الحاجات والبغيات .

(٢) مكور : من كوَّر : أى أدخل شيئًا فى شىء . وجمع متفرقاته .

(٣) سماح : ما كان فيه تساهل . وكما يقال : (السماح رباح) ، أى المساهلة فى الأشياء تربح صاحبها.

(٤) رُكامه : المتراكم بعضه فوق بعض من السحاب .

(٥) أرمل : رقّق . أرمَلَ النسيج : دققه .

(٦) الأوّاه : الكثير التأوه ، والشكوى والتوجّع ، والمقصود إبراهيم الخليل ، وجاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أوّاهٌ منيب ﴾ سورة هود ، آية : ٧٥ .

(٧) صادع : من صدع ، أى شق .

(٨) ودّ وسواع : إلـهان كانا يُعبدان من دون الله ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ ودًّا ولا سواعًا ولا يغوثَ ويعوقَ ونسْرا ﴾ سورة نوح ، آية : ٢٣ .

وأودع روحه السلام ورحم آله وأهله الكرام . ما لمع رائل[1] ، وملع[2] دالٌّ ، وطلع هلال ، وسمع إهلال » .

« اعلموا (رعاكُم الله) أصلحَ الأعمالِ ، واسلكُوا مسالك الحلال . واطرحوا الحرام ودعُوه ، واسمعُوا أمر الله وعُوهُ . وصِلُوا الأرحام وراعوها ، وعاصوا[3] الأهواء واردعوها. وصاهروا[4] أهل الصلاح والورع ، وصارموا[5] رهط[6] اللهو والطَّمع . ومصاهركم أطهر الأحرار مولدًا ، وأسراهم سُؤددًا[7]، وأحلاهم مورِدًا[8] ، وها هو أمَّكم ، وحلَّ حَرَمكم . مملكًا عروسكم المكرمه ، وما مهر لها كما مهر رسول الله ، أُمّ سلَمه. وهو أكرم صِهرْ أودع الأولاد ، وملك ما أراد . وما سها[9] مملكه ولا وهم ، ولا وكس[10] ملاحمه ولا وصم[11] أسأل الله حكم إحماد[12] وصاله ، ودوام إسعاده . وألهم كلاًّ إصلاح حاله ، والإعداد لمآله[13] ومعاده وله الحمد السرمد[14] ،والمدح لرسوله أحمد » .

* * *

(١) رائل : السن الزائدة لا تنبت على نبتة الأضراس بل خلفها .
(٢) ملع : شق ، أسرع وخف .
(٣) عاصوا : خالفوا أى انهوا أنفسكم عن هواها .
(٤) صاهروا : صيروا أصهارًا . والصهر : زوج الابنة أو الأُخت . وتعنى صاهروا أيضًا : قاربوا وأدنوا.
(٥) صارموا : قاطعوا . (٦) رهط : أهل .
(٧) سؤددًا : شرفًا . أسراهم : أكرمهم .
(٨) موردًا : المورد : موضع الورود ، وهو الطريق إلى الماء أيضًا .
(٩) سَهَا : غَفل .
(١٠) وكس : نقص ، خسر . وُكِس التاجر فى تجارته : خسر فى تجارته فذهب ماله .
(١١) وصم : كسل ، فتر .
(١٢) إحماد : إتيان ما يحمد عليه . الرضى عن الفعل والتصرف .
(١٣)مآله : مرجعه . أى موته ومعاده .
(١٤) السرمد : الدائم .

خطبــة ابن الزيات

المنزوعة منها حرف الألف

* وخَطَب « أحمد بن الحسن بـن عليٍّ بن الـزيـات(*) » خطبـة أُلْغِيَتْ الأَلِف من حروفها على كثرة ترددها فى الكلام ، وهى :

– « حِمِدْتُ رَبِّى جَلَّ من كريمٍ محمود ، وشكـرتُه عَزَّمِنْ عظيمٍ معبود .. ونَزَّهْتُـه عن جَهلِ كلِّ مُلْحِدٍ كَفُـور ، و قَدَّسْتُـه عن قول كلِّ مُفْسِـدٍ غَرور .. كبيرٌ لو تَقَوَّم فى فهم لَحُدَّ(١) ، قديرٌ لو تَصوَّر فى رَسْمٍ لُحَدَّ(٢) لو عَرَتْه(٣) فِكْرَةُ تصورٌ لَتَصَوَّرَ ولو حَـدَّثْه فكرة لَتَقَدَّر(٤) ، ولو فُهِمت لـه كيفية لبطَلِ قِـدَمُه ، ولـو عُلِمَتْ له كيفيـةٌ لَحَصَل عَـدَمُه ، ولـو حُصِر فى ظرف لَقُطِعَ بتجسُّمـه ، ولوقَهَره وَصْفٌ لَصُدِع(٥) بتقسُّمه ، ولو فُرِض له شَبَحٌ لَرَهِقِه(٦) كَيْفٌ .

عظيم من غير تركيبِ قُطْر ، عليم من غير ترتيبِ فكْر ، موجود من غير شىء يُمْسِكه ، معبـودٌ من غير وهْمٍ يُدْرِكه ، كريم من غير عِـوَضٍ يَلْحَقُه ،

(*)من أهل بلش مالقة – ولد عام ٦٤٩هـ – وتوفى سنة ٧٢٨هـ .

(١) أى لعُرِفَ ، من الحدِّ : وهو التعريف .

(٢) من التحديـد ، أى لصارت لـه ذات محدودة ، ولو أنه قـال : « قديم » بـدل « قديـر » لناسب أن يقول بعده : « لجد » بالجيم المفتوحة أى لصار جديدًا حادثًا .

(٣) عرته : أى اعترته وتنـاولته ، وفى الأصل « عدته » بالدال وأراه محرفًـا ، وتصوَّر أى تمثل فى صورة ، يقال : صوره فتصور .

(٤) لتقدر : أى صار له قدر مجسم ، وفى الأصل « لتعذر » وأراه محرفا .

(٥) صدع به : جهر .

(٦) رهقه : غشِيَه ولحقه .

حكيم من غير عَرَض يَلْحَقُه (١) . قوىٌّ من غير سَبَب يجمعه ، علىٌّ من غير سبب يرفعه ، لو وُجد له جِنس لَعُورِض فى قَيُّوميَّته(٢) ، ولو ثَبَتَ لَهُ حِسٌّ لنُوزِعَ فى دَيْمُوميَّته(٣) .

* * *

* ومنها :

- « تقدَّسَ وعزَّ فعلُه ، وتنزَّه عزَّ اسمُه وفضلُه ، جلَّت قُدْرَته ، .. وعزَّتْ عِزَّتـه ، وعظُمت صِفَتُه ، وكَثُرَت مِنَّتـه ، فَتَقَ وَرَتَقَ ، وصَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ ووَصَلَ وَنَصَرَ وَخَذَلَ .

حَمِدْتُـه حَمْدَ مَنْ عَرَفَ رَبـه ، وَرَهِبَ ذَنْبَه ، وصَفَّت حقيقـة يقينِه قلبـه ، وَزَكَّت(٤) بصيرةُ دينـه لُبَّـه ، رَبَط سلك سلوكـه وشَـدَّ(٥)، وَهَدَمَ صرْح عُتُوِّه وَهَدَّ، وَحَـرَس مَعْقِل عقله وحَـدَّ ، وطرد غرور غِـرَّته(٦) وَرَذَلَه(٧) ، عَلِمَ عِلْـمَ تحقيق فنحا نحـوه ، نُقِرُّله عَزَّوَجَلَّ بثبـوت ربوبيته وَقِدَمـه ، ونعتقد صدورَ كلِّ جَوهر وَعَـرَضٍ عن جُوده وَكَرَمه ، ونشهـد بتبليغ « محمدصلى ربُّه وسلم عليه » رسوله وخير خلقه .

ونعلن بنهوضه فى تبيين فرضه ، وتبليغ شرْعه ، ضرب قُبَّة شرعه فنسخَت كل شرعٍ ، وَجـدَّد عـزيمتـه فقَمَع عـدوَّه خير قَمْع ، قَـوَّم كل مقـوَّم

(١) يلحقه الأول : أى يناله ويأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يتصف به .
(٢) القيوم : من أسمائه تعالى ، أى الذى لا نِدَّ له .
(٣) الديمومة : الدوام .
(٤) زكت : طهرت .
(٥) فى الأصل « وشيد » وأراه محرفًا عن « شد » إذ هى التى تلائم قوله قبلها « وربط » .
(٦) الغرة : الغفلة .
(٧) رذله وأرذله : عده رذلاً .

بقويم سُنَّتِه ، .. وكريم هَدْيه ، وبينَّ لقومه كيف يَرْكَنُون[1] ، ففازوا بِقَصده وسديد سعيه ، بشَّرَ مُطِيعَه فَظَفِرَ برحمته ، وحذَّر عاصِيه فشقِيَ بنقْمته .

* * *

* وبعـــد :

فقد نصحتُكـم لو كنتم تَعقِلون ، وهـديتُكم لو كنتم تعلمـون ، بُصِّرتم لـوكنتم تُبْصِرُون ، وذُكِّرتُم لـو كنتم تَـذْكُـرون ، ظهَرتْ لكم حقيقـةُ نَشْرِكم ، وبرِّزَت لكم حقيقةُ حَشْرِكم ، فكـمْ تركُضُون فى طَلَق[2] غفلتكم ، وتغفلُون عن يوم بعثكم ، وللموت عليكم سيفٌ مسلول ، وحُكْمُ عزمٍ غير معلول .

فكيف بكم يومَ يؤخذ كلٌّ بِذَنْبه ، ويخُبَر بجميع كَسْبه ، وَيفرَّق بينه وبين صحبه ، وَيَعْـدَم نُصرةَ حِزْبه ، ويشتغل بِهَمِّـهِ وَكَرْبـِهِ ، عن صديقه وَتِـرْبه ، وتُنْشَر له رُقْعة ، وتعينَّ له بُقْعة ؟ فَرَبح عبـدٌ نَظَر وهو فى مَهَل لنفسه ، وترسَّل فى رَضِىِّ عملِ جنةٍ لحلول رمْسِه[3] وَكَسَرَ صَنَم شهوته ، ليَقَـرَّ فى بُحْبُوحَة[4] قُدْسه، وحصَرَ بنظر يُنزله سريرَ سروره بين عقله وحسِّه .

* * *

---

(١) ركن إلى الشىء ركـونًا : مـال إليه واطمـأنَّ ، أى بينَّ لهم كيف يركنـون إلى الحق والصواب ، وقـد كانوا من قبله يعمهون فى ضلالتهم ويخبِّطون .

(٢) يقال : جرى الفرس طلقًا أو طلقين : أى شوطًا أو شوطين .

(٣) الرمس : القبر .

(٤) بحبوحة المكان : وسطه

* ومنها :

«فَتَنبَّهْ - وَيحْك - من سِنَتِك ونوْمك ، وتفكَّرْ فيمن هَلَك مِنْ صُحْبتك وقـومك ، هَتَفَ بِهم مَنْ تعلَمُ ، وَشَبَّ عليهم منهُ حَـرَقٌ[1] مُظْلِمٌ ، فَخَرِبَتْ بصَيْحَته ربوعُهم ، وتفرقت لِهَوْله جُمُوعُهم ، وذلَّ عزيزُهم ، وَخَسِىءَ رفيعهم ، وَصَمَّ سميعُهم ، فخرج كل منهم عن قصره ، وَرُمِىَ غيرَ مُوَسَّد فى قبره ، فهُمْ بين سعيد فى رَوضَـةٍ مُقَرَّبٍ ، وبين شَقِىٌّ فى حُفْـرَةٍ معذَّب ، فنستـوهِبُ منهُ عزَّوجلَّ عِصْمَةً من كلِّ خطيئة ، وخُصُوصيَّة تَقِىَ من كل نفْسٍ جريئة[2]» .

* * *

(١) الحرق : النار ولهبها .

(٢) يلاحظ أن فى الخطبة خمس كلمات فيها ألف وهى : قاهر ، باهر ، عاصيه ففازوا ، فنجا .

خطبة بلا نقط

* فى الخطبة التالية للشيخ « على إبراهيم محمد الدشناوى » ليس فيها حروف منقوطة وهى :

لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

* الحمد لله ملك الملوك .. المالك .. وما سواه مملوك .. إله واحد أحد حَكَمٌ عَدْلٌ صَمَد .. لا والد له ولا ولد .. ولا أول له ولا أمد .

سَمَكَ السماء .. وأسال الماء .. وعلَّمَ آدم الأسماء .. والمهاد[1] دحاها[2]، والأطواد أرساها .. والرمال أحصاها .. وَسِعَ كلَّ أمرٍ عِلْمُهُ .. وكل عمد وسهو كرمه وحلمه .

لا إله إلا الله وعد وأوعد[3] .. وما أَحَد حَصَر آلاءه .. وهل لآلائه حَصْر أو عد ؟ .

كلا .. ما أحد لآلائه حَصَرَ .. ولو أراد حصْرَها لعراه الحصر[4] .. أحمده حَمْد مُسْلم ، لِحُكمه مُسَلِّم .. وللحلال مُحَلِّلٍ وللحرام مُحَرِّم .. أحمده

(١) الفراش ، والمراد هنا الأرض .
(٢) دحاها : بسطها .
(٣) من الإيعاد والوعيد .
(٤) الحصر : وهو العيّ وعدم القدرة على النطق .

ما مرَّعام وحولٌ .. وأسأله الطَّوْل[1] والحَوْل[2] .. والسلام لأكرم داعٍ وهادٍ.. المرسُولِ لأهل السهـول والوهاد[3] .. محمـد الحامد المحمـود سر الأسرار .. وإمام الرسل الكرام الكُمَّل الأحرار .

صاح مدح الرسول أكمل مدح * ودواء لكـل داء ألمـــا

أكـرم الـرسل أحمد الاسم طـٰه * كــامل أودع الكـــوامل حُلما

مصـدر العلم مورد الحلم هـاد * سـاد كل الكــرام أصـلا وعلما

طهَّـــر الله أصلــــه وحمَـــاه * ورعـــاه وللمـــراحـم أسما

اللهم أهـدِ أكمل السلام . . لـه ولآلـه أهل وُدِّهُ الأعلام .. أهل الكـرم والسماح .. والصلاح والإصـلاح .. ما طـار طائر .. وسـار سائر .. وصـدح صادح .. ولاح لائح .. وهطل ركام .. وهدر حمام .

أهل السماح وهم أهل الصـــلاح وهم

أكــــارم أمهم علمًا أولـــو الأمل

أولاهـم الله مـــــولاهـم وكـــــرَّمهُم

وردَّهُـــم لكمال العلـــم والعمـــل

* * *

(١)الطول : المن .

(٢) الحَوْل : القوة .

(٣)الوهاد : جمع وهدة و هى المكان المطمئن .

خُطبة عرية من الإعجام

أخبَرَ الحارِثُ ابن هَمَّام(*) قال : استبضَعْتُ(١) في بعض أسفاري القَنْدَ(٢) وقَصَدْتُ بِهِ سَمَرْقَنْدَ(٣) .

وكنتُ يومئذ قويمَ الشَّطَاط(٤) .. جَمومَ النَّشَاط(٥) ، أَرْمِي عن قَوْسِ المِراح(٦) .. إلى غَرَضِ الأفراح .. وأستعينُ بماء الشَّباب .. على ملامح السَّراب(٧) .. فوافيتها بُكْرَةَ عَروبة(٨) .. بَعْدَ أن كابَدْتُ الصعوبة .. فسعيتُ وما ونَيْتُ(٩) .. إلى أن حَصَلَ البَيْت .

فلما نقلتُ إليه قَنْدِي .. وملكتُ قولَ عِنْدِي(١٠) .. عُجْتُ(١١) إلى الحَمَّامِ

(*) القاسم بن علي الحريري (٤٤٦-٥١٦هـ = ١٠٥٤-١١٢٢م) .

(١) استبضعت الشيء : جعلته بضاعة ، والبضاعة قطعة من المال تُبعثُ للتجارة .

(٢) عقيد ماء قصب السكر .

(٣) بلد في عراق العجم .

(٤) أي معتدل القامة .

(٥) أي كثير الحركة غير ضعيف من الهرَم من قولهم: بئر جموم كثيرة الماء .

(٦) الطرب والنشاط .

(٧) السراب : مثلٌ في الكاذب الخادع ، وملامحه لوامعه : جمع لمحة من لمح إذا لمع أي أستعين بقوة الشباب وإنعاشه على تحصيل المطامع الكاذبة ، وإنما استعار الماء للشباب وهو رونقه ونضارته طلبًا للمناسبة بين المستعان به والمستعان عليه ، لأن السراب في رأي العين شبه الماء ولهذا قال تعالى ﴿ كسراب بقيعةٌ يحسبه الظمآن ماء ﴾ « سورة النور : الآية : ٣٩ » .

(٨) هو يوم الجمعة .

(٩) الوني : التعب والفتور أي وما تراخيت .

(١٠) أي بلغ أن يقول عندي كذا أي معي أو في بيتي ، لأنك تقول عندي كذا لما كان في ملكك حضرك أو غاب عنك، وتقول لي كذا إذا كان بحضرتك .

(١١) أي انعطفت .

عَلَى الأَثَر[١] .. فَأَمَطْتُ [٢] عنِّى وعْثَاءَ السَّفَر[٣] .. وأَخَذْتُ فى غُسْلِ الجُمُعَةِ بالأَثَر[٤].

ثم بادَرْتُ فى هيئة الخاشع .. إلى مسجدها الجامع .. لأَلْحَقَ بِمَنْ يَقْرُبُ مِنَ الإمام .. و يُقَرِّبُ أَفضَلَ الأَنْعام[٥] .. فَحَظِيتُ بِأَنْ جَلَّيْتُ [٦]فى الحَلْبَة .. وتَخَيَّرْتُ المركز[٧] لاستماع الخُطبة .

ولم يزلِ الناس يَدْخُلُـونَ فى دِينِ الله أَفْواجًا [٨].. وَيَرِدُونَ فُرادَى وأَزْواجًا حتى إذا اكتظَّ[٩] الجامِعُ بِحَفْله[١٠] .. وأَظَلَّ [١١] تَساوِى الشَّخْص وظِلِّه[١٢] بَرَزَ الخَطِيبُ فى أهْبتِهِ .. مُتهادِيًا[١٣] خَلْفَ عُصْبَتِه[١٤] .. فارْتَقَى فى مِنْبَر الدَّعْوة[١٥] .. إلى أن مَثَلَ [١٦] بالذِّرْوَة .. فَسَلَّمَ مُشِيرًا باليَمِين .. ثُمَّ جَلَس حتَّى خَتَم نَظْمُ التأذين [١٧] .

(١) أى فورًا فى الحال . (٢) أى أزلت .

(٣) شدته ومشقته ، والأصل فيه الأرض الوعثاء وهى ذات الرمل الرخو الذى يُشَقُّ المشى فيه .

(٤) بالخبر المأثور فى غسل الجمعة ، وهو ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مَنْ اغتسل يوم الجمعة أخرجه الله من ذنوبه ، ثم قيل له استأنف العمل .. » حديث .

(٥) هى البَدَنَة من الإبل ، وفيه إشارة إلى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن عليه الصلاة والسلام قال : « من اغتسل يوم الجمعة غُسْل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى ، فكأنما قرب بَدَنَة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة... » . حديث .

(٦) أى سبقت فى الجماعة وأصل الحلبة خيل تخرج للسباق ويقال للسابق منها : المجلى .

(٧) أراد موضع الجلوس وأصله وسط الدائرة .

(٨) أى زُمر أو جماعات . (٩) امتلأ وضاق .

(١٠) أى يجمعه . (١١) أى حضر .

(١٢) ويكون ذلك وسط النهار وهو وقت الظهر .

(١٣) أى متبخترًا متمايلاً . (١٤) جماعته .

(١٥) أى الخطبة . (١٦) أى انتصب قائمًا .

(١٧) هى أعلى المنبر ، وذروة كل شىء أعلاه .

ثم قام وقال : « الحمدُ لله الممدوحِ الأسماء .. المحمودِ الآلاءِ [1] .. الواسعِ العطاء .. المدعوِّ لِحَسْمِ اللأواءِ [2] .. مالكِ الأمم [3] .. ومُصوِّر الرِّمَم .. وأهلِ السماح والكَرَم .. ومُهْلِك [4] عادٍ وإرَم [5] .

« أَدْرَكَ كُلَّ سرٍّ عِلْمُهُ .. وَوَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ [6] حِلْمُهُ وعَمَّ كُلَّ عالَمٍ [7] طَوْلُه [8] .. وهَدَّ [9] كُلَّ ماردٍ حَوْلُه [10] .

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِم [11] .. وأدعوه دُعاءَ مؤمِّلٍ مُسَلِّم [12] .. وهو الله لا إله إلا هو الواحدُ الأحد .. العادِلُ الصَّمَد [13] .. لا وَلَدَ لَهُ وَلا والِد .. ولا رِدْءَ معه [14] .. ولا مساعد .

أرسل محمَّدًا للإسلام مُمَهِّدًا [15] .. ولِلْمِلَّةِ مُوطِّدًا [16] .. ولأدِلَّة الرُّسُلِ

---

(١) النعم .

(٢) أى لقطع الشدة .

(٣) أى معيد العظام البالية .

(٤) قوم هود .

(٥) هو أبو عاد وقيل : اسم بلدهم أو قبيلة منهم .

(٦) هو مَنْ يدوم على المعصية مع العزم على فعلها .

(٧) بفتح اللام الجيل من المخلوقات .

(٨) بفتح الطاء فضله .

(٩) كسر وهدم .

(١٠) هو العاتى الباغى .

(١١) أى مقرٌّ بوحدانية الله بقلبه وقالبه .

(١٢) أى راجى فضل مولاه ومنقاد لما به ابتلاه .

(١٣) الذى يُصْمَدُ إليه أى يُقصَدُ فى قضاء الحوائج .

(١٤) أى ليس معه مُعِين .

(١٥) أى موطئًا ، ومنه سمى المهد .

(١٦) أى مثبتًا .

مُؤكِّدًا .. وللأَسْوَدِ والأحمرِ[1] مُسدِّدًا[2] .. وصَلَ الأرحام .. وعَلَّمَ الأحكام .. وَوَسَمَ[3] الحلال والحرام .. وَرَسَمَ الإحلالَ والإحْرام[4] .

كَرَّمَ الله محلَّه .. وكَمَّل الصلاة والسلام له .. وَرَحِمَ آلهُ الكُرَماء .. وأَهْلَهُ الرُّحَماء .. ما هَمَر[5] رُكام[6] .. وهَدل[7] حَمام .. وسرَّح سَوَام[8] .. وَسَطَا حُسام[9] .

اعملوا رَحِمَكُم الله عمل الصُّلَحَاء .. واكدحوا[10] لمعادكم[11] كدْحَ الأصحَّاء .. واردعوا أهواءكُم رَدْعَ الأعداء .. وأَعِدُّوا للرِّحْلَةِ [12] إعدادَ السُّعداء .. وادَّرِعُوا حُلَلَ الوَرَع [13] .. وداووا عِلَلَ الطَّمَع .. وسوُّوا [14] أَوَدَ

---

(١) أى العرب والعجم وقيل الإنس والجن .

(٢) مُصْلحًا ومرشدًا .

(٣) من الوسيم وهو العلامة أى علم وبينً .

(٤) الرسم : الأثر ورسمت له أن يفعل كذا فارتسم أى أمرته فامتثل ، والإحلال : هو الخروج والفراغ من أفعال الحج ، والإحرام : هو الدخول فيه والتلبس به .

(٥) صب وسكب .

(٦) سحاب متراكم متكاثف .

(٧) صوَّت وصَاحَ .

(٨) سرحت الماشية سروحًا ذهبت إلى المرعى وسرحتها أرسلتها سرحًا ، والسوام بالفتح المال الراعى .

(٩) أى صال سيف قاطع .

(١٠) الكدح : السعى والجهد والكد فى العمل .

(١١) أى لمرجعكم وهو يوم القيامة .

(١٢) أى تهيأوا وتأهبوا المراد الانتقال من الدنيا بالموت .

(١٣) الادِّراع والتدرع : لبس الدرع والحلل : جمع حلة بالضم وهى ما يلبس من الثياب الجميلة أى البسوا لبوس الورع وهو الكف والبعد عن المحارم .

(١٤) أى قوموا واعدلوا .

العمل[١] .. وعاصوا وساوس الأمل [٢] .. وصوّروا لأوهامِكم حُؤُول الأحوال[٣].. وحُلول الأهوال .. ومُساورة الأعلال[٤] .. ومُصارمة المال[٥] .. والآل[٦] .. وادَّكِروا الحِمام[٧] وسَكْرَةَ مَصْرَعِه[٨] .. والرَّمْس [٩].. وَهَوْلَ مُطَّلَعِهِ [١٠] .. واللَّحد وَوَحْدَةَ مُودِعِهِ [١١] .. والمَلَكَ [١٢] وَرَوْعَةُ سؤالِه ومَطْلَعِه[١٣] .. والْمَحوا الدَّهْر [١٤] ولُؤمَ كَرِّه [١٥] .. وسوءَ مِحالِهِ [١٦] ومَكْرِه .

كَمْ طَمَسَ [١٧] مَعْلَمًا [١٨] .. وَأَمَرَّ [١٩] مَطْعَمًا وطحْطح [٢٠] عَرَمرمًا [٢١]

---

(١) أى اعوجاجه .

(٢) أى ما يوسوس لكم به الأمل مما يوجب الكسل والتراخى عن العمل .

(٣) أى تغير الحالات .

(٤) أى مواثبة العلل .

(٥) مقاطعته والمال بمعنى الغنى أى زواله .

(٦) الأهل .

(٧) أى اذكروا الموت .

(٨) السكرات خمس – سكرة الشراب ، وسكرة الشباب ، وسكرة المال ، وسكرة العز ، وسكرة الموت .

(٩) القبر .

(١٠) بتشديد الطاء يعنى هول ما يأتى صاحبه وهو ما يطلع عليه من الشدائد كسؤال الملكين .

(١١) هو الميت .

(١٢) المراد منكر ونكير .

(١٣) أى فزع سؤال الملكين ومطلعهما على القبور .

(١٤) أى انظروا إلى ما يحصل فى الزمان .

(١٥) أى وانظروا لؤم الدهر ، فى كرِّه : رجوعه وقلب موضوعه .

(١٦) بالكسر أى خداعه وكيده .

(١٧) محا .

(١٨) بالفتح أثرًا يستدل به على الطريق .

(١٩) من المرارة التى هى ضد الحلاوة .

(٢٠) الطحطحة : المحق وتفريق الشىء إهلاكًا .

(٢١) العرمرم : الجيش الكثير لا يقاومه شىء .

ودَمَّر[1] مَلِكًا مُكـرَّما .. همُّهُ سَكُّ المَسـامِع[2] .. وَسَحُّ المَدَامِـع[3] .. وإكداء المطامع[4] .. وإرداء المسمع والسامع[5] .

عَمَّ حُكْمُـه الملـوك والرَّعـاع[6] .. والمَسُودَ والمُطـاع[7] .. والمَحْسُـودَ والحُسَّاد .. والأسـاوِد[8] والآسـاد[9] .. ما مَوَّلَ إلا مال[10] .. وَعَكَـسَ الآمال[11] .. وما وَصَـلَ[12] إلا وصـال[13] .. وَكَـلَمَ الأَوْصال[14] .. ولا سـرَّ[15] إلا وَسـاء[16] .. وَلَـؤُمَ[17] وأسـاء[18] .. ولا أَصَـحَّ[19] إلاولَّـدَ الـدَّاء[20] .. وَرَوَّعَ الأَوِدَّاء[21] .

---

(1) أهلك .

(2) سكه يسكه إذا اصطلم أذنيه واسكت مسامعه صُممت وأسك الله سمعه أصمه .

(3) سيلها وصبها .

(4) أي قطع الأطماع أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهي الصلابة ، وأكدى البرد الزرع حسه وأكدى الرجل قل خيره .

(5) إهلاك المطرب والطرب .

(6) الأرذال .

(7) الرعية من ساد قومه سيادة وسؤددًا .

(8) هو الذي ساد قومه فأطاعوه وهو الملك .

(9) جمع الأسود وهو الحية اسم وليس صفة ولو كان صفة لقيل في جمعه سود . جمع الأسد .

(10) موّله : جعله ذا مال أي ما أعطى الدهر أحدًا مالاً إلا مال عليه فاستأصله .

(11) أي قلبها بأضدادها .

(12) من الصلة .

(13) من الصوْلة .

(14) أي جرح وقطع الأوصال جمع الوصل وهو المفصل .

(15) من السرور بمعنى الفرح .

(16) أحزن .

(17) أي قبح .

(18) أتى بما يسيء .

(19) من الصحة .

(20) أي أوجده .

(21) الأحباب .

اللهَ اللهَ [١] رَعاكُمُ [٢] اللهُ .. إلامَ [٣] مُداوَمَةُ اللَّهْو .. ومُواصَلَةُ السَّهْو وطُولُ الإصرار [٤] .. وحَمْلُ الإصار [٥] .. واطِّراحُ كلام الحكماء .. ومُعاصاةُ إلهِ السَّماء .

أما الهَرَمُ [٦] حَصادُكُم [٧] .. والمَدَرُ [٨] مِهادُكُم [٩] .. أما الحِمامُ [١٠] مُدرِكُكُم .. والصراطُ مَسْلَكُكُم .. أما السَّاعةُ مَوعِدُكُم .. والسَّاهِرةُ [١١] مَوْرِدُكُم .. أما أهوالُ الطَّامَّةِ [١٢] لَكُمْ مُرْصَدَة [١٣] .. أما دارُ العُصاةِ الحُطَمَةُ [١٤] المؤصَدَة [١٥] .. حارِسُهُم مالِك [١٦] .. ورُواؤُهم [١٧] حَالِك [١٨] وطَعامُهُمُ السُّموم [١٩] .. وهواؤُهُمُ السَّموم .. لا مالَ أسْعَدَهُم ولا وَلَد .. ولا عَدَدَ حَماهُم ولا عُدَد [٢٠] .

---

(١) أي اتقوا الله .

(٢) حفظكم .

(٣) أي إلى متى .

(٤) البقاء على الذنب .

(٥) جمع الإصْر بالكسر وهو الذنب العظيم وأصله الحِمْل الثقيل قال النابغة :

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم * وحامل الإصر عنهم بعد ما غرقوا

(٦) محركا الكبر .

(٧) أي فناؤكم أي لا يليه إلا الموت .

(٨) هو الطين والمراد به الأرض مطلقًا .

(٩) أي فراشكم والمراد أنها المهد بعد الموت .

(١٠) المـــوت .

(١١) عرصة القيامة وأصلها الأرض أو وجهها .

(١٢) من أسماء القيامة .

(١٣) أي مُعدَّة منتظرة .

(١٤) من أسماء جهنم من الحطم ؛لأنها تحطم من دخلها أي تكسره .

(١٥) أي المغلقة المطبقة .

(١٦) هو خازن النار .

(١٧) منظرهم الحسن .

(١٨) أي أسود كلون الغراب .

(١٩) السموم بالضم : جمع السم وبالفتح الريح الحارَّة .

(٢٠) العَدَد بالفتح : كثرة الأهل والأعوان وبالضم جمع عُدة .

ألا رَحِمَ الله امرأً مَلَكَ هَواه (١).. وأَمَّ مَسالِكَ هُداه (٢) .. وأَحْكَمَ طاعةَ مولاه .. وَكَدَّ وَكَدَحَ (٣) لِرَوْحِ مَأْواه (٤) .. وَعَمَل مادَامَ العُمْرُ مُطَاوِعًا .. والدَّهْرُ مُوادِعا (٥) .. والصِّحَّةُ كامِلَة .. والسَّلامَةُ حاصِلَة .. وإلا دَهَمَهُ (٦) عَدَمُ المَرام .. وَحَصَرُ الكَلام (٧).. وإلْمَامُ الألام (٨) .. وحُمُومُ (٩) الحِمام .. وهُدُوُّ الحَواس (١٠) .. ومِرَاسُ (١١) الأرْمَاس (١٢) .. آهًا (١٣) لها حَسْرَةَ أَلَمُها مُؤَكَّد .. وأَمَدُها سرْمَد (١٤) .. وَمُمارِسُها (١٥) مُكْمَد (١٦) .. مَالِوَلَهِهِ حاسِم (١٧) .. ولا لسَدَمِهِ (١٨) راحِم .. ولا لَهُ (١٩) مِمَّا عَراهُ عَاصِم (٢٠) .

أَلْهَمَكُمُ الله أَحْمَدَ الإلْهَام (٢١) .. ورَدَّاكُم (٢٢) رِدَاءَ الإكْرام .. وأَحَلَّكُمْ (٢٣) .. دارَ السَّلام (٢٤) .. وأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الإسْلام .. وهُوَ أَسْمَحُ الكِرام .. والمُسَلِّمُ (٢٥) والسَّلام .

---

(١) أى خالف نفسه الأمَّارة .

(٢) أى قصد واقتفى طرق رشده .

٣) أى اجتهد فى الطاعة .

(١٤) أى لأجل نسيم منزله ومقرِّه .

(٥) أى مسالمًا ومصالحًا .

(٦) غشيه وأدركه بغتة وأصابه .

((٧) محركة العى وعدم القدرة على النطق ومراده عند الموت .

(٨) أى نزول الآلام والمراد بها أمراض الكبر والهرم والموت .

(٩) مصدر حمَّ إذا قضى ومنه الحِمَام بالكسر .

(١٠) أى سكونها وعدم قدرتها وذلك عند الموت ، والحواس الظاهرة خمس وهى: السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس .

(١١) أى علاج .

(١٢) جمع الرمس وهو القبر .

(١٣) كلمة تحسُّر وتوجُّع .

(١٤) أى مدتها دائمة لا تنتهى .

(١٥) أى مكابدها ومعالجها .

(١٦) أى حزين .

(١٧) الوله : محركة ذهاب العقل من شدة الحزن والحسم ، القطع أى ليس لذهاب عقله قاطع وجابر.

(١٨) السدم : كالندم وهو الحزن والغم على مافات .

(١٩) اعتراه وحلَّ به .

(٢٠) أى مانع ودافع .

(٢١) هو ما يرد على القلب ويخطر به .

(٢٢) أى ألبسكم .

(٢٣) أنزلكم .

(٢٤) هى إحدى الجنات الثمانية .

(٢٥) المنجى .

قال « الحارثُ ابن همام » :

– فلما رأيتُ الخُطْبَةَ نُخْبَةً[١] بِلا سَقَط[٢] .. وعَرُوسا بِغَيْر نُقَط[٣] .. دَعانى الإعجاب بِنَمَطِها[٤] العَجِيب .. إلى اسْتِجْلاء وَجْهِ الخَطِيب[٥] .

فَأَخَذْتُ أتوسَّمُهُ[٦] جداًّ .. وأقلِّبُ الطَّرْفَ فِيهِ مُجِدًّا[٧] .. إلى أن وَضَحَ لى بِصْدقِ العلامات .. أنهُ شَيْخُنا صاحِبُ المقامات[٨] .

ولَمْ يَكُنْ بُدٌّ[٩] مِنَ الصَّمْت[١٠] .. فى ذلك الوقت[١١] .. فأمسكْتُ[١٢] حتى تَحَلَّلَ[١٣] مِنْ الفَرْض .. وحَلَّ الانتشارُ[١٤] .. فى الأرض ثُم واجَهْتُ تِلْقَاءَه[١٥] .. وابتَدَرْتُ[١٦] لِقاءَه .

فَلَمَّا لَحَظَنِى[١٧] خَفَّ[١٨] فى القِيام .. وأَحْفَى[١٩] فى الإكْرام .. ثُم اسْتَصْحَبَنِى[٢٠] إلى دَارِه .. وأوْدَعَنِى خصائص أسرارِه[٢١] .. وحينَ انْتَشَر

---

(١) أى مختارة .
(٢) أى لا عيب فيها .
(٣) أى ليست منقشة .
(٤) وفى نسخة بنظمها .
(٥) أى معرفة وجهه .
(٦) أى أنظر فى سمته وعلامته وفى بعض النسخ أتأمله .
(٧) مجتهدًا .
(٨) هو أبو زيد وفى بعض النسخ أبو زيد ذو المقامات .
(٩) قولهم لابد من كذا أى لا فرار ولا محالة .
(١٠) السكوت .
(١١) وهو وقت الخطبة الواجب فيه الإنصات لاستماعها .
(١٢) أى سكت عن الكلام .
(١٣) صار حلالا بالتسليم من الصلاة .
(١٤) يشير إلى قوله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ﴾ « سورة الجمعة الآية : ١٠ » .
(١٥) أى قبالته وأمامه .
(١٦) أى أسرعت .
(١٧) أى نظرنى .
(١٨) أى أسرع .
(١٩) أى بَالَغَ وأصله من الحفاوة وهى المبالغة فى السؤال عن الرجل والعناية بأمره .
(٢٠) أى صحبنى معه .
(٢١) أى ما خفى من ضمائره .

جَناحُ الظَّلام(1) .. وحانَ ميقاتُ المَنام(2) .. أَخْضرَ أباريقَ المُدَام(3) .. مَعْكُومَةً(4) بالفِدَام(5) .

فقُلتُ : أَتَحْسُوها(6) أمامَ النَّوْم .. وأنتَ إمامُ القَوم ..فقال : مَهْ(7) .. أنا بالنهارِ خَطيب .. وباللَّيل أَطِيب(8) .. فقلت : والله مـا أدْرِى أأعْجَبُ مِنْ تسلِّيك(9) عن أنـاسِكَ(10) .. وَمَسْقَطِ رأسِـك(11) .. أمْ مِنْ خِطـابَتِكَ مَعَ أدْناسِك(12) .. ومَدار كاسِك(13) .

فأشاحَ(14) بِوجْهِهِ عَنِّى .. ثم قال : اسْمَعْ منِّى :

لا تَبْكِ إلْفًا(15) نَأَى(16) ولا دَارًا(17) .. ودُرْ مع الـدَّهرِ كيفَما دارًا(18) ، واتَّخِذِ النَّاس كُلَّهُمْ سَكنًا(19) .. وَمَثِّل الأرْضَ كُلَّها دارا(20) واصْبِرْ على خُلْق

(1) كناية عن دخول الليل .

(2) أى آن وقت النوم .

(3) الخمر .

(4) أى مشدودة .

(5) الفدام مـا يوضع فى فم الأبـريق ليصفى مافيـه من الفدم وهـو الشد كـالسداد من السـد وأبريق مفدوم ومفدم .

(6) أى أتشرَّ بها والضمير للمدام .

(7) أى أكفف عن هذا وهو اسم فعل .

(8) أى أطرب .

(9) تسلى عنه بكذا أى تلهى واشتغل به .

(10) قومك وعشيرتك .

(11) أى بلدك التى ولدت بها .

(12) مع خصالك الدنسة الرديئة .

(13) أى إدارة خمرك .

(14) أى أعرض متكرهًا .

(15) الإلف والأليف الصاحب الموافق .

(16) النأى : البُعْد .

(17) معطوف على إلفا أى ولا تبك دارًا أُبعِدتُ عنها .

(18) أى كن معه فى تقلبه بك لا تعارضه بل تخلَّق بما يناسب حالتك التى أنت بها فهو من الدوران .

(19) أى موطنًا تسكن إليه .

(20) أى منزلاً واحدًا .

مَنْ تُعـاشِرُهُ ..و دَاره (١) فـاللبيب (٢) مـن دارى (٣) ولا تُضِـعْ فُـرصَةَ السرُّورِ (٤) فَمَا .. تَدْرِى أيومًا تَعيشُ أمْ دارًا (٥) .

واعْلَمْ بِأنّ المَنُون (٦) جائِلَةٌ (٧) .. وقد أدارتْ (٨) على الوَرَى (٩) دَارًا (١٠)
وَأقْسَمَتْ لا تَزالُ قَانِصَةً (١١) .. ماكَرَّ (١٢) عَصْر المَحْيا (١٣) وما دارا (١٤) .

فكيف تُرْجَى النَّجاةُ مِنْ شرَكِ (١٥) .. لمْ يَنْجُ مِنْهُ كسْرَى (١٦) ولادَارا (١٧).
قال فلما اعْتَـوَرَتْنا الكئـوس (١٨) .. وَطَـرِبَتِ النُّفُـوس (١٩) .. جَرَّعْنِـى (٢٠) اليَمِينَ الغَمُـوس (٢١) .. عَلَى أنْ أحْفَظَ عَلَيْـهِ النَّـامُـوس (٢٢) .. فَـاتَّبَعْتُ

---

(١) أمر من المداراة وهى الملاطفة .
(٢) العاقل .
(٣) أى من فعل المداراة .
(٤) أى لا تترك نهزة السرور .
(٥) الدار : هنا من أسماء الدهر أو الحول وأنشد :
فت هما أو اشرخ غير شك * ولو قد عشت فيها ألف دار .
(٦) هى المنية والموت .
(٧) أى دائرة ومترددة .
(٨) أى أحاطت .
(٩) أى المخلوقات .
(١٠) جمع دارة القمر وهى الهالة المحيطة به وقيل إنها الدار الذاهية .
(١١) أى صائدة وفى نسخة قابضة .
(١٢) أى ما رجع .
(١٣) هما الغداة والعشى وقيل : الليل والنهار .
(١٤) مأخوذ من قولهم : دار الدور إذا تكرر والضمير راجع للعصرين .
(١٥) أصله حبالة الصائد والمراد به الموت الذى لم ينج منه أحد .
(١٦) بفتح الكاف وكسرها ملك من ملـوك الفرس كان ذا شهرة فى ملكـه حتى تسمى باسمه كل من ملك الفرس .
(١٧) قيل هو أب لكسرى الأول لأنهم قالوا كسرى بن دار ابن بهمن بن أسفند يار .
(١٨) أى تداولت علينا .
(١٩) الطرب خفة تلحق الإنسان عند الفرح .
(٢٠) التجريع : السقى بكلفة وأراد به أنه حلفه .
(٢١) التى لا استثناء فيها سميت غموسًا لأنها تغمس صـاحبها فى الإثم وقيل: لأنها تغمس صاحبها فى النار .
(٢٢) أى أدارى على ما يخل بتعظيمه ولا أهتك حرمته ولا أشيع عنه تعاطيه الخمر والناموس السر .

مَرا مَه .. وَرَعَيْتُ[1] ذِمامَه [2] .. وَنَزَّلْتُهُ[3] بَيْنَ المَلأَ[4] مَنْزِلَةَ « الفُضَيْل » [5] وَسَدَلْتُ[6] الذَّيْلَ[7] على مَخازِى اللَّيْل [8] .

ولمْ يَزَلْ ذَلِـك دَأْبَه [9] وَدَأْبِى .. إلى أن تَهَيَّأَ إيـــابى [10] .. فَوَدَّعْتُـهُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى التَّدْلِيس [11] .. وَمُسِرٌّ [12] حَسْوَ الخَنْدَرِيس [13] .

* * *

(١) حفظت . (٢) عهده .

(٣) جعلته . (٤) أشراف الناس .

(٥) هو ابن عياض الورع الشهير فى الزهد والعبادة كان فى أيام الرشيد واجتمع عليه فوعظه حتى أبكاه فقال بعض وزرائه بسك يا فضيل فقد أبكيت أمير المؤمنين فقال له الفضيل : إنما يدخله النار أمثالك تزينون له القبيح وتحسنون له الأمر الفظيع .

(٦) أى أرخيت .

(٧) أصله أسفل الثوب والمراد سترت بسكوتى .

(٨) فضائحه . (٩) عادته .

(١٠) أى آن وأمكن رجوعى وعوْدِى .

(١١) كتمان ما لا ينبغى كتمانه من العيب .

(١٢) مبطن .

(١٣) شرب الخمر العتيقة .

خطبــة فى العــدل

الحمد لله أرسى صروح العدل ، وحكم كل مارد أهل ، رحم الله كل راع عـادل ، سلك مسلك الأوائل ، أهـل الـورع والصـلاح ، والكـرم والسماح ، والعلم والعمل ، والكد لإسعاد الدول ، وعمل كما أعلم الرسول المأمول :

- (كلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكم مَسئُول) .

رحــم الله امـرأ سلك مســلك (عُمَر) حَكَمَ وعَـدلَ ، وعمـَّا أمـر الله ماماَلَ ولا عَدلَ .

عدل الحاكم ، ألِدَوامِ حكمه هم الدعائم ؟!

العدل لو دام عمَّرَ ، وَعكسه لو دام دمَّرَ . العدل أساس المُلْك وعكسه داع للدمار والهلْك . العدل ملاك الأمور ، وهو للدول أحكم سور .

« إصلاح الأولاد »

أصلحوا أولادكم وعوِّدُوهم السماح والكرم .. وعلّموهم الأسرار والحكم علموهم أصول الإسلام.. والحلال والحرام .. وأسمعـوهم كلام الله .. وكلام رسوله الأواه .

علــم الأولاد أسرار الحكــم * ولأهـل العلــم دعهـم والهمــم

وكــلام الله علــم كلــها * كــرروه أدركـوا السعــد الأعم

مـا وعـوا علماً وصـاروا رءوسـاً * وسمـــوا إلا وهم أهـل الحكم

دعوهم لمحمـود المرح واللهو .. وعلمـوهم العوْمَ والعـدْوَ .. وعوِّدوهم حمْل السلاح .. وعمل الإصلاح ..وعدم الهلع والإعوال ..لو رأوا الأهوال .

عودوهم الطموح لكل محمود ممدوح .

عـودوهم الكـد والعمل .. وأطـراح الكسل.. والسأم والملل وأعـدوهم لحل المسائل .. وردِّ سؤال السائل .

أعدوهم لإسعاد مصر وأهلها.. والعمل لصالح دول الإسلام كلها .

« الراح [1] »

اعملـوا عمل الكرام ، ودعـوا عمل اللئـام .. ولو « لاَ مَكُم » اللـوَّام .. دعوا الراح والمُدام ، والكاس والطاس .

الراح سم الأرواح .

المدام مصدر الأدواء والآلام ، حرَّمها الملـك العلّام ، ورسول الإسلام ، والعلماء الأعلام .

الكاس والطاس .. مصدر الهوس والـوسواس .. والوعك ودوار الراس والله ما أهمل حَسْو المُدَام.. إلا أولو الأحلام.. ولا مال لها ، إلا عاصٍ لها [2] .

ما مَالَ للراح والكاس ، إلا معدوم الإدراك والإحساس .

أماَ سَمِعَ كلام رسول الإسلام: (كل مُسْكِرٍ حَرام) ؟

---

(١) الخمر .

(٢) لها . من اللهو .

أما لمح حال سُكْرِهِ .. مكائد الدهر ومَكْره .. وصرعه ولؤم كرِّه ؟

أما أهمَّه إمساك المال لأولاده وأهله .. وإعداده لعدمه ومحله ؟ [١].

أما ردعه أولو الأسمال[٢] ..لما عدموا المال ؟

أما علم ما أعدَّه الله له ؟ أعد له سوء الحال والمال .. أعد له العلل والأدواء .. والعدم واللأواء .. وسائر الأسواء .

أما الحِمَام مورده .. واللحد موعده .. والأهوال مرصده .. والله سائله .. وما أعده له لا مراء واصله .

ألا رَحِمَ الله امرءًا طرح اللهو والراح .. (ولا كسا راحا له كأس راح) وعمل لإصلاح حاله .. كما عمل لإصلاح مآله .

« حِكَم »

(أ) الأحكام أساسها الإحكام .. أحمد الأمور أوسطها .. أحمد الأمصار ما حملك ..أصل المحامد الكرم وأصل الكرم الورع .. وأصل الكمد طول الحسد .

(ب) (وأصل المراحم المكارم .. وأصل الإهمال الإمهال.. وأصل الهم الوهم وأصل الحلم العلم.. وأصل الصلح السِّلْم .. وأصل الطمع الإمساك ، وأصل المعلوم الإدراك)[٣].

(جـ) الحسد لا دواء له .. الحُرُّ حُر ، ولو طَعَمَ المرّ .

---

(١) المحل : أصله الجدب وانقطاع المطر والمراد هنا الفقر والعوز .

(٢) الأسمال : الخلق من الثياب .

(٣) مابين القوسين من كلام الشيخ عبد الله اليوسفى .

(د) الدراهم مراهم .. دوام العلم إصلاح العمل .

(ر) رحم الله امرأ أعطى السائل وأكرم الأرامل .

(س) سلم الأمور لمالك الممالك .

(ص) صدْرُك أوسع لسرِّك ، صدور الأحرار محل الأسرار .

(ط) طعام الممسك داء ، وطعام السمح دواء .

(ع) عدل الحاكم رأس ماله ، العلم رواؤه العمل .

(ك) كلام الله دواء ما وراءه داء.. كلكم راعٍ .. وكل راعٍ مسئول .. كل حاكم لا عدل له هو واللص سواء .

(ل) لكل أحد رأس مال .. ورأس مال الحاكم العدْل .

(م) ما أدرع أحد الطمع إلا وحُرِمَ الورع ، ما أطال امرؤ الأمل إلا وأساء العمل .. ما موَّل الدهر إلا مال.. وعكس الآمال .. وما وصل إلاوصال، وكَلَمَ الأوصال .

ولا سر إلا وساء ، ولؤم وأساء.. ولا أصح إلا ولد الداء .. وروع الأوداء[1].

ما للحسد إلا الكمد .. المُلْك سم مهلك والعدل دواؤه .. ملوك كل الأمور بالورع.. (ماء ولا كصداء).. (ما كل عطر عطر عروس) .

(هـ) هلك السائل والمسئول ... هلك مطاوع هواء وإلهكم إله واحد لا إلـٰه

---

(١) للإمام الحريري .

إلا هو.. ومـا محمد إلا رسول.. ومكـروا ومكر الله .. وعد اللـؤ ماء مطل «لاراد لأمر الله» ... لا رسول كالدرهم .

لأحدهم :

صـــوِّر لــروحك مَلحــدًا[1] * واكْدح[2] صــلاحًــا سرْمــدا

وازْدع طماحــــك[3] هــامــلاً * مـــاء الــدمــوع وعــددا

* * *

(١) الملحد : القبر .

(٢) الكدح : العمل والسعى .

(٣)الطماح : الشرِّه من قولهم : رجل طامح : أى شرِّه .

خطبـــة فى

« مكائد الأعداء أهل المكر والدهاء »

●ويقول الشيخ الدشناوى أيضًا :

الحمد لله وَحَّدَ الآراء .. وردَعَ أهل الأهواء .. وعملاء الأعداء .. وأطلع لمصر هلالها .. وحرَّك لها أسودها ، حموا مصالحها وما لها .

مـا لمكائد الأعـداء عدٌّ .. ولا لسـوء أعمالهم حـدٌّ .. ما حلُّـوا مِصْرا إلا أسلموه للعلل والأدواء .. والعسر واللأواء .. وسائر الأسواء ..أكلوا أمواله .. وعطلوا أعماله .. ومصُّوا دماءه ..ومحـــوا رواءه .. وطمسوا معالمه .. وهدموا دعائمـه .. وحلوا عراه .. وأطـاروا كراه[1] ورأوا أهله كالسـوام.. وهم الرعاء الكـرام .. ما لما أرادوه راد .. ولا لما عملـوه صاد.. هم لـؤما كماكر .. ودهـاء كالساحر .

كلامهم كـالدواء .. وعملهم كالـداء .. ووعدُهم مَمْطـول .. وعهدهم محلول .. وودُّهم معلول.

كم أساءوا لمصر وأهلها ، وأوردوها مـوارد لا صدر لها .. كم حاوروا .. وكم داوروا .. وكم وعدوا وكم أوعدوا.. وكم أرعدوا وكم هددوا.

---

(١) الكرى : النوم.

كم أعدموا همامًا .. وحاصروا إمامًا .. وهدموا دورًا .. ودمروا معمورًا وأكمدوا مسرورًا .. ووعروا السهل .. أمام الأمرد والكهل .

كم كدروا الماء وصادوا .. وحلوا عصم الأدواء وسادوا .. ودسوا الدسائس .. وملأوا مصر أوهامًا ووساوس .. وأكرموا عملاءهم وهم لمصر أعداء .. وأساءوا لأعدائهم وهم لها الأوداء .. وأهملوا مصالحها .. وما عملوا لصالحها .

والحمد لله حوَّل الأحوال .. وعكس لهم الآمال .. وأحال الأسد حَمَلاً .. والحَمَلَ أسدًا .. وصحا الحالم .. وصحح مسلكه الواهم .. وسار كل حر .. وراء أسد (مر) صائحًا صادحًا مكررًا مرددًا « مصر لأهل مصر » .

« دعاء »

اللهمَّ أطِلْ عمرَهم .. وأصلِح أمرهم .. وطهِّر سرَّهم .. وأعطهم الآمال .. وأصلح لهم الأحوال .. واهدهم لصالح الأعمال.

اللهم أكرمهم .. واعصمهم.. وارحمهم .. واكلأهم .. واحرسهم

اللهم أحمد مسعاهم .. وسدِّد مرماهم .. وسلِّمْهم لحماهم .

اللهم دعِّم أحكامهم .. وواصل إكرامهم .. ووسِّع لهم العطاء .. واكسُهم حُلَلَ السؤدد والعلاء .

اللهم سدِّد آراءهم .. وأدِمْ آلاءهم .. وأهلك أعداءهم .. وسهل لهم كل الأمور .. وأدِمْ لهم كامل السرور .

وأعداء مصر ودول الإسلام.

اللهم اركسهم ركسًا[1] .. وحسهم حَسًّا[2] .. وأعدمهم حِسًّا .. ودمر لهم الأُطُم[3] .. وأرسل لهم الحِمَم[4] .. وأوكس[5] عددهم .. وطحطح[6] عددهم.

اللهم أسلمهم للأدواء[7] واللأواء[8] وسائر الأسواء .

اللهم أطعمهم السُّموم .. وأصْلِهم الحَرُور والسَّمُوم .. واطمس لهم الرسوم[9] .. وأعِلْ[10] لهم الحلوم[11] .. وعدِّد لهم وسائل الهموم .

اللهم اعكس لهم الآمال .. وأحرمهم مدد الأمهال .. والحلم والسداد .. والوصول للمراد .. وعسر لهم الأمور .. واكمُد لهم الصدور .. وحطم مُلْكهم .. وأسرع هَلْكهم .

اللهم أكرم مسئول .. حصل لسائلك السول .

---

(١) الركس : رد الشيء مقلوبًا .

(٢) الحس بالفتح : الاستئصال أى استأصلهم.

(٣) الأطم : الحصون .

(٤) الحمم : الفحم وكل ما احترق من النار .

(٥) أوكس : أنقص .

(٦) طحطح الشيء : كسره وفرقه وبدده .

(٧) الأدواء : الأمراض .

(٨) اللأواء : الشدة .

(٩) الرسوم : ما بقى من آثار الديار .

(١٠) أى أمرض .

(١١) الحلوم : العقول .

« مصر »

صاح !

مصر وكـرك وحماك .. ومسرحك ومأواك .. أرواك مـاؤهـا .. وأصحَّك هواؤها .. وحملك وطاؤها .

مصر أمك الرؤوم .. رم لها الصدع وداو الكلوم .. وأدِّ مالها واحْم مالها.

اعمل لسؤددها وأدِمْ.. ودع الإهمال واطـرح الكسل . لمصر دع العداء ، واطرح المِرَاء .. مـا طرح العـداء والمراء إلا أولو الأحـلام[1] الكرمـاء .. كم صرم المراء أواصر الأوداء .

دع الكـلام مع إهمال العمـل .. واعمل لمصر وحـدهـا لا للمصـــالح والعـــلل .. وآل كل مـــوال لها .. وعـاد أمـــرا عما دهاهـا لَهَا[2] .. عــاد عــداها .. وأهـــل ما ســواها .. كـل مـــوالٍ للأعـــداء .. هـو والأعـــداء ســـواء .

أهل مصر لك معصم وساعـد .. واسهم لو دهمهم أمر وســاعد .. وكما أعد سواك السلاح والعدد .. أعد لمصر السلاح والعدد .. وإلا أكلك الآكل ولامك العدو والمواصل .

---

(١) الأحلام : العقول .

(٢) لها : من اللهو .

سلاحك ودرعك .. وإلا حاول الدهر صرعك .. وطولك وحولك .. وإلا طمع كل طامع حولك .

العهد عهد السلاح والرماح .. لا عهد السلام والوئام والكرم والسماح .. المسالم الموادع .. كم أراعه الماكر الطامع .

ما لا سلاح له أرداه الأعداء .. وأهمله الأوداء .

العلاء وانسؤدد .. لهما الحسام الصمصام[1] .. والسهم المسدد .. والحر الهمام .. ما أهمل السلاح والحسام .. إلا وعاد كأحد العوام .

اعدد لحسادك حد السلاح * وأورد الآمل ورد السماح[2]

وصارم اللهو[3] ووصل المها[4] * واعمل الكوم[5] وسمر الرماح[6]

واسع لإدراك محل سما * عماده لا لإدراع المراح[7]

والله ما السؤدد[8] حسو الطلا[9] * ولا مراد[10] الحمد رؤد رداح[11]

---

(١) الصمصام : القاطع .

(٢) ورد السماح : أى مورد الكرم والجود .

(٣) وصارم اللهو : المصارمة وهى المقاطعة أى تباعد عن اللهو .

(٤) ووصل المها : جمع مهاة بالفتح وهى البقرة الوحشية والعرب تشبه النساء بها .

(٥) واعمل الكوم : جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام أى استعملها .

(٦) سمر الرماح : لأن الرمح الأسمر أحسن من غيره .

(٧) واسع... إلخ : أى اجعل سعيك فى طلب المنزلة المرتفعة العمد ، لا لادّراع المراح يعنى لا تجعل سعيك لأن تتلبس بالمراح وهو النشاط والطرب .

(٨) السؤدد : السيادة .

(٩) حسو الطلا : أى شرب الخمر .

(١٠) مراد الحمد : أى ليس محل طلبه وإرادته .

(١١) رؤد رداح : الرؤد الشابة الناعمة مستعار من الرؤد وهو الغصن الناعم الرطب والرادح من النساء الثقيلة الأوراك - وهذه الأبيات للحريرى .

خطبـة فى

« عهد الأمس »

*** الحمد لله ، أعاد مصر لأهلها ، وأعطاها كل سؤلها .**

عهـد الأمس أسود حـالك .. مسدود المسـالك .. الملك واهٍ .. والمَلِكْ ساهٍ لاهٍ .. حكامه عطلوا الأحكام .. وأهملوا الإحكام .. وأداموا اللهو والمرح وكلٌّ لمصالحه سرح ورمح .

والمحكوم لا طولَ له ولا حوْل .. سادم[1] سادر[2] .. واله[3] حائر صاد[4] والماء أمامه عـارٍ معدم .. ولصوص الحكم حرموه كساءه .. وأكلـوا طعامه .. وأسمعوه كلامًا كالعسل .. وأروه عملاً كعمل الأسل[5] .

عهـد الأمس .. عهـد العلو والإدلال .. والسهـو أو اللهـو والإهمال .. عهد الركوع[6] للملك والأمراء .. والحكـام والرؤسـاء .. وإهمال إلـٰه السماء السامعُ الدعاء .. الواسع العطاء .

عهد الأمس .. عهـد ملك ومملوك .. ومسود وصعلوك .. وآمـر مطاع .. ومأمور مطواع .

---

(١) السدم : الندم والحزن . (٢) السادر : المتحير .
(٣) الواله : من ذهب عقله وتحير . (٤) الصدى : العطش وصاد أى عطشان .
(٥) الأسل : الشوك الطويل من شوك الشجر وتسمى الرماح آسلا .
(٦) ليس المراد بالركوع حقيقة معناه وإنما المقصود به مظاهر الخضوع والذلة .

عهد الأمس .. عهد الكلام .. والوعود والأحلام .. والمكر والدسائس.. والأوهام والوساوس ، والعداء واللدد[1] .. والهموم والكمد .. والعلل والأدواء[2] .. واللأواء[3] والأسواء .

الحلال محرَّم .. والحرام محلَّل .. والصالح مطرود .. والطالح مودود .. والملك طال وصال .. والحاكم عَدَل ومَالَ[4] .. والموسر أدرع الطمع .. والمعسر صرعه العدم وأراده الهلع .. وآل الكل للدمار .. والهلاك والإعسار .

---

(١) شدة الخصومة .

(٢) الأمراض .

(٣) الشدة .

(٤) عدل عن طريق جار .

خطبـة فى

« رائد الأحرار »

هـو واحد الـدهـر .. وإمام أهل العصر .. مسـوِّد[1] مصر ومحررهـا .. وموحـدها ومطهرها .. وحـارسها الساهـر .. وملاّحها الماهر .. وركـامها[2] الماطر .. وأسدها الكاسر .. وروحها المحـرك .. ورأسها المدرك .. وساعدها وسعدها .. وعلمهـا وطودها[3] .. ودرعها[4] وحسامُها[5] .. ورائدها[6] .. وإمامها .. وهلال سمائها .. ومدار علائها .

إمـام للعسـاكـر كم رعـاهـا * لـــردِّ العسر لـــو حم[7]العداء

لــه همم طـــوالعهـا سعـــود * ومطلعهـا المحــامـد والعــلاء

كســا حُلَل المكـارم كل سـاع * لــه الـــلأواء[8] دار أو رداء

وهـــاك المدح أســداه إمـــام * ولا ملل عـــــراه ولا مــــــراء

كسا الإهمال عـاطله[9] رواءً[10] * كعـود الدوْح عـلاه اللحـاء[11]

---

(١) من السيادة .

(٢) الركام : السحاب المتراكم .

(٣) الطوْد : الجبل .

(٤) الدرع من الحديد وكان يلبسه المحارب .

(٥) الحسام : السيف .

(٦) أصل الرائد : هو الذى يرسل فى طلب الكلأ .

(٧) حمَّ الأمر : قضى وقدَّر .

(٨) الشدة .

(٩) أى عاطل حروفه من الإعجام والنقط .

(١٠)الرواء : المنظر الحسن .

(١١)قشر الشجر .

طلع لـلأعداء كـالمارد .. أراعهم[1] وأراع كل حـاسد .. وأمام دهـائهم صَمد .. ولطـرد عساكرهم عمـد .. وأسَّس لسؤدد مصر الدعـائم والعمد .. وأعـدَّ لأعدائهـا العَـدد والعُدد .. وحـرر أصـول الأحكام .. وحـدد الحدود للمحَكوم والحكام .. ولمسالك العلاء مهد .. ولاسم مصركم كرر وردد .. وما سطا العدو الصائل .. والطامع الماكر المماحل[2] .. إلا صده ورده .. وأعاده مكسورًا مدحورًا .. مكلومًا[3] ملومًا محسورًا .

عمل ومـا ملَّ .. وأدام العمل ومـا كلَّ .. عمل لمصر لا لمصـالحه .. ولأهلهـا لا لصـالحه .. وحمل لها اللـواء وحماه .. وسار للعـلاء إمامًـا والكل وراه .. سار كالسهم المرسل صائحًا مرددًا:

اعل الرأس .. ما الحال كالأمس[4].

اعل الـرأس .. الكـل سـواء .. لا ملك ولا مملـوك .. ولا مسـود[5] ولاصعلوك .. المسود هو العامل لمصر .. الحامل لها الإصر[6] .

للأمام .. للأمام : مرَّ عهد الكلام .. والوساوس والأوهام .. وحل عهد العمل .. للوصول للأمل .

كـلام حـرَّك الهمـم .. وأسمع الأصم .. وأراع[7] الأمـم .. وردع أهـل

---

(١) أفزعهم .
(٢) من المماحلة وهى المماكرة والمكايدة .
(٣) جريحًا .
(٤) إشارة لقول الرئيس: اعلِ رأسك يا أخى فقد مضى زمن الاستعباد .
(٥) من السيادة .
(٦) الإصر : العهد والذنب والثقل والمراد هنا الأخير .
(٧) أفزع .

الأهواء .. وحسم[1] الـداء .. وآلم الأعـداء .. وسر الأوداء[2] .. ولم لا وكـلام الصدور[3] دواء للصدور .. وروح[4] وراح[5] للمهموم والمصدور[6].

وهل هـو ملوم .. لـو محا لها الكدر والهمـوم .. ولأم الصدع والكلـوم[7] ومصر أمه الرءوم ؟

ولما أدرك أهل مصر ولاءه ومرمـاه .. وحمدوا له صالح عملـه ومسعاه .. أسرُّوا لـه الـود والـولاء .. ولأعدائه الكُرْه والعـداء .. ومـا طلع كـالهلال .. إلاهرعـوا لمرآه .. وأهلوا الله .. ومـدوا سواعـدهم للسماء .. وكرروا الـدعاء : اللهم أكرمه .. ولمصر سلِّمه .

وملء صـــــدورهـم ود صراح * ومـا أدراك مـا عمل الـدعـاء

ألا رحم الله امرأً حمد للمصلح اصـلاحه .. وللصالح صـلاحه .. ولكل مسدٍ أسداءه .. ومعط آلاءه .. ورد ما حصلـه ومؤداه .. ما حمد الله امرؤ أهمل حمد سواه .

صاح :

كما عمل لإسعـــادك .. والـــوصــــول لمرادك .. ومحا أسَــاك وهمَّك .. وإصلاحه سادَك وعمَّك .. وإلـٰه كل الولاء .. ولك السعد والعلاء .

---

(١) قطع .
(٢) الأحباب .
(٣) السادة المقدمون .
(٤) الراحة .
(٥) الخمر .
(٦) الذى يشتكى صدره .
(٧) الجروح .

وإلـهٌ لله لا للوصـول لأمل .. ردع الـولاء للمصالح والعلل .. ورد مـا حاصله ومؤداه .. لو امرؤ عاهد الإمـام .. ما عاهده إلا للحطام .. لو أعطاه والاه .. ولو حرمه عاداه .. طرده الله وأرداه .

هداك الله وأعطاك آمالك .. وأسعدك ومحا همومك وآلامك .

* * *

« أحمد المسالك لكل سالك »

الحمـد لله .. عاصم أهل الحلال من الحرام .. وأعطى للمـرء حِكَماً من درر الكلام .

للوصول للسؤدد .. حاولوا وطاولوا .. حاولوا الوصول للأمل .. وطاولوا كرام الدول .

للوصـول للعلاء .. محِّصوا الآراء .. وعادوا الأعـداء .. ووالوا الأوداء .. وأدلوا مع أهل السـؤدد الدلاء .. وأطـرحوا المراء .. ودعوا الحسـد والعداء .. اسلكـوا مسلك الأوداء وأعطـوا لأهل الأطمار[1] الكســاء .. وأهل الأدواء الدواء .. وسهلوا العلم للدهماء[2] .. وطهِّرُوا صدوركم .. وأحكمـوا أموركم وأعطوا الأعمال لأهلها .. وأوصلوا مصر لسؤلها .

للوصـول للأمل .. دعـوا الكسل .. اعملوا صـالح العمل .. واسلكوا مسالك الأُوَل .

لإصلاح حالكم ومآلكم .. اعملـوا عمل أهل الإسلام .. أحِلُّوا الحلال وحرِّموا الحرام .. وصِلُوا الأرحام .. وأطعموا الطعام .. وأهدوا السلام وواسوا أهل الآلام .. وأعطوا الســائل .. وارحموا الأرامل .. وآووا العائل[3] .. واهدوا الحائر .. وطهِّـروا السرائر .. وأكـرمـوا العلماء .. ووالـوا الصلحـاء .. ووالـوا الصلحاء .. وودوا الكرام .. وداروا اللئام .. واعملوا للمعاد .

(١) الأطمار : جمع طمر الثوب الخلق .
(٢) الدهماء : جماعة الناس .
(٣) الفقير .

واصِلُوا السُّهاد .. وداوِموا الركوع .. وسحوا الدموع .. وأدرعوا الورع .. واطرحوا الطمع .. ودعوا الهَلَع .. وأدُّوا الوعـود .. وصوموا وصلوا .. وعما هو محرَّم أو مكروه وَلُّوا .. دعـوا العمل لعمرو وعمر .. واعملـوا لله وحده كما أمر وسارعوا للمكارم .. وواصلوا المراحم .

دعوا المكر والمحال ..[1] والعلـو والأدلال .. واللهو والإهمال .. دعـوا الحرص والإمساك[2] .. وإلا عراكم العدم ودهمكم الهلاك .. وحاصل الكلام اسلكوا أحمد المسالك .. ودعوا ما أوصل للمهالك .

ادكروا الحِمام وما وراه .. والرمس[3] وما طواه .. والصراط وطُـوله وحَدّه والأهوال وما الله لأهل السوء أعدَّه .

هـــول الحِمام طـــالـع * مطلع[4] روع[5] كـالأسـد

كـــــاس لكـل دوره * والكـل للكـــــاس ورد

وكل عمـــر كـــالكـــلا * والـــدهـــر للكل حصـــد

وكـــل رســم[6] دارس[7] * ومـــا هـــدّ ومـــا مهـــد

كلٌّ هالك .. إلا مالك الممالك .. كل مسئول عما علم وعمل .. وماسلم أحد لو سئل .. والسـائل هو الحكم العدل لا أحد سـواه .. عالم الأسرار وما الصدر حواه .

(١) المحال : المكر والكيد .
(٢) المراد به البخل .
(٣) الرمس : القبر .
(٤) مطلع : طلوع .
(٥) روع : مخافة .
(٦) الرسم : بقية الدار .
(٧) دارس : أي ممحو .

ألا رَحِمَ الله امرأ .. أطاع أمـر مولاه .. وما عمل لهواه .. وسلك مسلك الرسـول الآمل المؤمل .. والكـامل المكمل .. وسار كما سـار آله الكـرماء .. وأهل وده الرحماء السمحاء .

* * *

« رهط الأحرار ..ومساعدوه الأطهار »

الحمد لله على ما حرر وطهر .. وكمل الأعمال وصالح الآمال .

ما المدح إلا سؤدد وعلاء * ومحامد ومكارم ودعاء

لهؤلاء الأحرار .. الكمل الأطهار .. محامد ما لها عدٌّ .. ومكارم ما لها حدٌّ .

لما أصروا كل الإصرار .. للوصول للأوطار[1] .. وردع العدو المماطل .. ورد الماكر الصائل[2] .. كل واصل سهاده .. وطرح وساده[3] .. وداوموا العمل وما ملُّوا .. ومارسوا الأمور ما كلُّوا[4] .

لله درُّهم .. ما أحمد مسعاهم .. وما أسدَّ مرماهم .. حرروا حماهم .. وطردوا عداهم .. وحسموا[5] الداء .. وردعوا أهل الأهواء .. وطهروا المصالح وأهملوا كل مرءوس أساء .. وولوا الكُمَّل الصلحاء .. وسووا الأود[6] .. واصطلموا أصل العداء واللدد[7] .

وعمروا الصحراء .. وطهروا الماء .. وأسسوا المعامل للدواء .. والدور للأدواء ولأموا الكلوم[8] .. وداووا الموعوك والمحموم .. كما أعدوا المعاهد

(١) جمع وطر وهو الحاجة والطلب .   (٢) المستطيل والمواثب .

(٣) الوساد والوسادة : المخدَّة .

(٤) أعيوا وعجزوا .

(٥) قطعوا واستأصلوا .

(٦) الأود : أود الشيء أعوج والأود الاعوجاج .

(٧) الاصطلام : الاستئصال : اللدد : شدة الخصومة .

(٨) الجراح .

لروَّادها .. والمدارس لورَّادها .. وعمـروا للسلاح دورًا .. وسلحوا عرمرمهـم[١] وعملوا حـول أسراره سورا .. وأحكموا لمصر سائر الأمـور .. وأكملوا لها كل السرور .

مـا أرحمهم وأكـرمهم! .. أصلحوا حـال الأكـار[٢] .. وأوصلـوه للأوطـار .. وأعطوه الأملاك إصلاحًا لحاله .. وعملوا له السد[٣] إعدادًا لمآله .

والعامل سمعـوا مدعـاه .. ولما علموا ما دهـاه .. .. وأماطـوا له العلل ومهدوا له وسائل العمل .. وأصلحوا حاله .. وأعطوه آماله .

وعدلوا أسعار السلع .. وردعوا أهل الطمع .

وأحكموا الصـادر والوارد .. وصدروا المحصول الكـاسد[٤] .. وأوردوا مصر أسلم الموارد .

وأرســـلوا للـدول رواد العلـــم .. لإكمال العلـــوم .. وإحكـام المسطــور .. والمعلوم .

وأعدوا السلاح لـردع كل عدو طامع .. وطووا الـولاء لكل مسالم موادع وصححوا أصول الحكم وعدلوها .. وأسسوا دعائم العدل ووطدوها ومهدوا مسالك الســؤدد[٥] وســـهلوها .. وصـــار الكـل ســواء .. المـــلأ[٦] .

(١) عرمرمهم : المقصود به الجيش .

(٢) الأكار : الحارث والمراد هنا الزارع .

(٣) أى السد العالى .

(٤) المراد به القطن المصرى إذ استطاعت الحكـومة أن تصدر منه إلى الصين الشيوعية مـا قيمته خمسة عشر مليونا من الجنيهات .

(٥) السؤدد : السيادة .

(٦) علية القوم .

كالدهماء[1] .. والآمر كالمأمور .. والحاكم كـا لمحكوم .. لا مسود ولامسوَّد .. ولا حـوائل ولا حدود .. أمام العامل الكادح .. أو الأكار[2] الطامح .

وحاصل الكـلام أعطوا مصر مـرادها .. وأكمـدوا حسَّادهـا .. وصاروا مطالع إسعادها .. ومصادر إمدادها .

وحمل العـدو عصـاه ورحل .. وعـاد الأسَـدُ كـالحَمَل .. ووصل الكل للأمل .. عاد مهرولاً كالحوار[3] .. رامحًا وله حصاص[4] كالحمار .

* * *

(١) الجماعة : والمراد عامهم .

(٢) الزارع كما مر .

(٣) ولد الناقة .

(٤) شدة العدو والضراط .

خطبة « واصل بن عطاء » ..

المحذوف منها حرف (الراء) !!

* « واصل بن عطاء » - (٨٠ هـ - ١٣١ هـ) ، من أئمة البلغاء والمتكلمين .

* وُلِدَ بالمدينة ، ونشأ بالبصرة .. وكان يلثغ بالراء ، فيجعلها غينًا فتجنب حرف الراء فى خُطَبه ، وضرِب به المثل فى ذلك .

* ومن أقوال أحد الشعراء فى ذلك لصاحبه :

أجعلت وصلى الراء ، لم تنطق به * وقطعتنى حتى كأنك واصلُ

* ولأبى محمد الخازن فى مدح « الصاحب بن عباد » - (٣٢٦-٣٨٥هـ) :

نعم تجنب لا ، يوم العطاء ، كما * تجنب ابن عطاء لفظة الراء

* ولأنه كان دائم اللثغة فى الراء ، فحذفها من كلامه ورسائله وخطبه لاقتداره .

* حُكِيَ عنه أنه ذكر « بَشَّار »[1] ، فقال :

- « أما لهذا الأعمى المكتنى بأبى معاذ ، من يقتله ؟ أما والله لولا الغيلة

---

(١) بشار بن برد (٩٥ هـ - ١٦٨ هـ) .

خُلُقٌ من أخـلاق الغـالية ؛ لبعثت إليـه من يبعج بطنـه على مضجعـه .. ثم لايكون إلا سدوسيًّا ، أو عقيليًّا .

* * *

* قال « واصل » - فيما سبق - عن « بَشَّار » :

« الأعمى » ، ولم يقل « الضرير » .

وقال : « المكتنى » ، ولم يقل : « بشَّار » .

وقال : « الغالية » ، ولم يقل : « المغيرية » ، ولا « المنصورية » .

وقال : « لبعثت » ، ولم يقل : « لأرسلت » .

وقال : « على مضجعه » ، ولم يقل : « على فراشه » .

وذكر « بنى عقيل » ، لأن « بشارًا » كان يتوالى إليهم .

* خطب يـوما عنـد « عبـد الله بن عمر بن عبـد العـزيز » والى العـراق سنة١٢٦ « شبيب بن شيبة » ، « وخالد بن صفوان » ، «والفضل بن عيسى»، ثم قفـاهم « واصل بن عطـاء » ، فارتجــل هـــذه الخطبـــة ، وعرَّاهـا من حــرف الراء.

* وهـذه خُطْبة « واصل بـن عطاء » ، المحـذوف منهـا حرف « الـراء » ونصها :

- « الحمد لله القديــم بـلا غايــة ، والباقـى بلا نهايــة .. الــذى عــلا فى دُنُـوِّه ، ودَنَا فى عُلُـوِّه .. فلا يحويـه زمـان .. ولا يُحيــط به مكان

ولا يؤوده[1] حِفْظُ ما خلق ، ولم يخلقه على مثالٍ سبق .. بل أنشأه ابتداعًا .. وعَدَّلـه اصطناعًا .. فأحسن كل شىء خَلْقَه وتَمَّم مشيته .. وأوضح حِكْمته فدل على أُلوهيَّته .

« فسبحانه لا مُعَقِّبَ[2] لِحُكْمِه .. ولا دافع لقضائه .. تواضع كلُّ شىء لعظمته .. وذَلَّ كل شىء لسلطانه .. ووسِعَ كلَّ شىء فضلُه .. لا يَعْزُبُ عنه مثقالُ حَبَّة وهو السميع العليم .

« وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده .. إلهاً تقدَّست أسماؤه .. وعظُمت آلاؤه .. علا عن صفات كل مخلوق .. وتنزَّه عن شبيه كل مصنوع فلا تَبْلُغه الأوهام .. ولا تُحيط به العقول ولا الأفهام .. يُعْصَى فيحلُم .. ويُدْعى فيسمَع .. ويَقْبَلُ التوبة عن عباده .. ويَعْفُو عن السيئات .. ويَعْلَم ماتفعلون .

« وأشهد شهادة حق .. وقولَ صِدْق .. بإخلاصِ نِية ..وحُسْن طَوِيَّة - أن « مُحمَّد بن عبد الله » عبده ونبيه .. وخالصته[3] وصفيه .. ابتعثه إلى خَلْقِه بالبيِّنة والهدى ودين الحق .. فبلَّغ أمانته[4] .. ونَصَحَ لأُمته .. وجاهد فى سبيل الله .. لا تأخذه فى الله لومة لائم .. ولا يَصُدّه عنه زعم زاعم .. ماضيًا على سُنَّتِهِ .. مُوفيًا على قصده .. حتى أتاه اليقين .

---

(١) يثقله ، آده أودا (كنصر) بلغ منه المجهود .

(٢) لا رادَّ له .

(٣) هذا الشيء خالصة لك : أى خاصة .

(٤) الرسالة .

فَصلى اللهُ على مُحَمَّــد وعلىَ آل مُحَمَّــد أفضل وأزكـى وأتم وأنمى وأجلَّ وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه .. وخالصة ملائكته .. وأضعاف ذلك .. إنه حميد مجيد .

« أوصيكم عبــاد الله مـع نفسى بتقــوى الله .. والعمل بطـــاعتـــه .. والمجانبة لمعصيتـه .. وأَحُضُكم على ما يُدْنِيكُمْ منه .. ويُـزْلفكم لديه .. فإن تقوى اللهُ أفضل زاد .. وأحسن عـاقبة فى معـادٍ .. ولا تُلْهينَّكم الحياة الـدنيا بزينتهـا وخُدَعِهَـا .. وفواتن لَـذَّاتها .. وشهوات آمالها .. فـإنها متاع قليل .. وَمُدَّة إلى حين .. وكل شىء منهـا يزول .. فكَم عانيتم من أعـاجيبها .. وكم نصَبتْ لكم من حبـائلها .. وأهلكت من جَنَح إليهـا .. واعتمـد عليهـا .. أذاقتهم حُلْوًا .. وَمَزَجَتْ لَـهُمْ سُمًّـا .

« أين الملوك الـذين بنوا المدائن .. وشَيَّدوا المصانع .. وأوثقـوا الأبواب وكاثفـوا الحُجَّاب .. وأعدُّوا الجياد .. ومَلَكـوا البلاد .. واستخدمـوا التِّلاد ؟ قَبَضَتْهُم بِمَحْمِلها[1] .. وطحنتهم بكلْكلها[2] .. وعضَّتْهم بأنيابها وعاضَتهم من السَّعَـة ضيقًا .. ومن العِـزَّةِ ذُلاًّ .. ومن الحياة فنـاء .. فسكنوا اللّحُـود[3] وأكَلَهُم الــدود . ﴿ فأَصْبَحُـوا لا يُرَى إلاَّ مَسَـاكِنُهُمْ ﴾ [4] .. ولا تجد إلا معالمهم ولا تُحِسُّ منهم مِنْ أَحَد .. ولا تَسْمَع لهم نَبْسًا .

« فتزودوا عافاكم الله – فإن أفضل الزاد : التقوى .. ﴿ فاتَّقُوا اللهَ يا أُولى الألْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾ [5].

(١) المحمل : شقان على البعير ، يحمل فيها العديلان ، والمراد : احتوت عليهم .
(٢) الكلكل : الصدر .
(٣) القبور .
(٤) الأحقاف – الآية ٢٥ .
(٥) المائدة – الآية ١٠٠ .

جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه .. ويعمل لِحَظّه وسعادته .. وممن ﴿ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسنَهُ أولَئِك الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [1] .. إن أحسن قَصَص المؤمنين .. وأبلغ مواعظ المتقين : كِتَاب الله .. الزَّكِيَّة آياتُه .. الواضحة بيِّناتُه .. فإذا تُلِيَ عليكم فأنْصِتُوا إليه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون .

« أعوذ بالله القوى من الشيطان الغَوِيّ .. إن الله هو السميع العليم »﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [2] . « صدق الله العظيم »

« نفعنا الله وإياكم بالكِتَاب والوحى المُبِين .. وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم .. وأدخلنا وإياكم جَنَّاتِ النَّعيم » .

* * *

---

(١) الزُّمر - الآية ١٨ .

(٢) سورة الإخلاص : ١-٤ .

« خطبة غزلية للعقاد »

* إنـه كـان أحـد رجـال القـرن التـاسع عشر من أهل الأدب واللطف شاعرًا ذكيًّا يُقال له الشيخ « عُمر العقاد ».

وكان قد أنشأ خطبة تغزلية ، تَفْكِهَةً لأولى الأدب وهى:

* « الحمـد لله الـذى زَيَّنَ الخدود بكـواكب الشامـات العنبريـــة .. وسـيرها فى قلـوب المتيمـين بُكْـرَةً وعشيَّة .. وأطلع بقدرتـه فوقهـا شموس الأعين البابلية» .

« فسبحانه من إلـٰـه ، أودع من الرشاقة فى القوام ، والعـذوبة فى الكلام ما يستحق عليه الشكر ؛ ما دام الروض من السحائب رويًّا ».

« أحمده حمد من قَـدَّمَ محبـوبه بعـد الهـجـران إليـــه ، وقَبَّلَ وجْنتـه ، ورشف شفتيه ».

«وأشهد أن لا إلـٰـه إلا الله ، شهادة أتصل بها إلى الحبيب .. وأرتع بها فى ميادين الوصل والطيب ».

« اللهم فصلِّ على هـذا النبى المؤيد .. والـرسـول الممجد .. مـا وصل محب إلى الحبيب .. ومات العزول ، وغاب الرقيب .. وسَلِّم تسليمًا كثيرًا » .

أما بعـد أيها الوالدان ، فما لكم عـن المحبين تنفرون .. وقلوبهم بـالصَّدِّ تقطعون .. أتظنون أنكم على هذه الحالة تدومون .. والخدود منكم لايتغيرون هيهات هيهات سوف تنكرشون .. وتنشفون وتجرمون ».

« ألم يعظكم النظــر إلى من كـــان قبلكم ممن كانـــوا يفوقـــون الحور والبدور .. كـانوا يفتنـون الناس بسحـر الألحاظ ، وَرِقَّة الخصـور .. ثم نزل بالخدود والشعور .. فتركهم هباءً منثوراً .. وناداهم منادٍ :

أين القدود العاليــة ؟

أين العيون الماضيـة ؟

أين الخدود الخاليـة ؟

أين الذين فتنوا العشـاق ؟

أين ذوو القدود الرشاق ؟

أين الذين غابوا عن مجلس أوحَشُوه وأعتموه ؟

أين الذين إذا فارقوا المحب ، هيَّموه وتيَّمــوه ؟

« دارت عليهم كاسات الـذقون .. فأسكرتهم بعد عـزهم .. وألجأتهـم إلى عجزهم ».

« جعلنى الله وإياكم ممن دامت عليهم المرودية زمانًا طويلاً .. ولا جعل للذقون عليه سبيلاً ».

« واعلمـوا ــ نفعنى الله وإيـاكـم ــ يـا ذوى العيـون الصحـاح .. على ماحويتم ـ فى الثغر ـ من الشهـد والراح .. أن زمان المرودية زمانٌ طيِّبٌ جيِّدًا فاغنموه .. وأن زمان الخشونة مكروه مذموم فاحذروه » .

« وأستغفر الله لى ولكم وللمسلمين ».

خطبـــة غذائيـة

تعـارض

الخطبـــة الغزليـة

* وعارض الشيخ « مصطفى زين الـدين الحمصى » الخطبة الغـزلية فى خطبته الغذائية التالية ، فقال :

— «الحمـد لله الذى جعل لنـا اللحم السمين أكله ذكيًّـا .. وأبعد عنـا اللحم الضعيف بُعْـدًا قـويًـا .. وجعـــل لنـا من الضـان محشيًّـا ، ومقليًّـا ومشويًّـا ».

« نفعنى الله وإياكم ، إذا كـان الرُّز السوافل بالدهـن مقليًّا .. وتزاحمت الأيدى على الصحون غيًّا بعد غيًّا .. ونزلت فارغة ، وجاءت ممتليًا ».

« فإذا كان المسكين جائعْ ، نزل بـالكف والأصابع .. فأصابعه تطمس وأشداقـة تغمس ، وذقنه تـرقص .. وأسنانه مصليـا ، منتظرًا لمن ينـاوله من الكبة الصينيا .. فيُصف بعضهم فوق بعض ، بالطول والعرض ».

« فسبحـان من يَسَّر لنـا هذا بُكْـرةً وعشيًّـا ، وأطعمنا أنـواع المآكل من اللحوم والكبائب المحشيا » .

فإذا بـرزت الصحـون ، ونظرت العيـون ، وهـاشت البطـون ، وتحركت الذقون .. وسبقك رفيقك بلقمة فالْكُمه لكْمًا قويًّا .

«نحمده سبحانه وتعالى على ما أطعمنا من السُّكَّر والعسل النحليا ، وأبعد عنا الهيطليا ؛ لأنها تعمل فى القلب زغليا ».

ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له .. إلٰه خَصَّنا بالحلاوة القرعيا .. وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، الذى نهانا عن أكلة رديا .. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ما دامت الأكولات بالصحون ممتليا.

« أما بعد .. أيها الناس لا تأكلوا أقراص ، وكلوا سنبوسك أطرى لكم على الأضراس .. واعلموا أن القشدة بالعسل قُربها مليح ، وبُعدها قبيح ، والفطور منها يقطع الريح ، ويجعل الأبكم فصيح ، ولا بأس إذا كان السكر فوقها سطيح .

« أبعدها الله عن كل بخيل وشحيح ، وقَرَّبها لكل من كان سخيًّا قلبه صحيح ، ووجهه صبيح » .

« عباد الله .. أكل الطيب الصالح يُذهب الكسل ، ويداوى القلب الجريح من العلل .. فبادروا - رحمكم الله - بأكل التفاح المخضب ، والسفرجل المكعب ، والتين المكثب ، والعنب المطيب .. فعمَّا قريب تنسكب الأمراق بالقصع الغماق ، وتَشْخَصُ نحوها الأبصار والأحداق .. وتأتى الهرايس ، ومن فوقها السمن مائس .. فحينئذ تزدحم المجالس ، وترى القوم بين قائم وجالس ، وضاحك وعابس .

« فاجتهدوا - رحمكم الله - بأكل اللحوم ، وانتهوا عن أكل البصل والتوم .. فإنه يورث الأرياح ، ويبكم الألسن الفصاح .. واجتنبوا - رحمكم الله - أكل المغلظات ، مثل الملفوف واللفت والجزر والكُرَّات ، وأميلوا كل

الميل على الأكـولات الطيبات .. مما نوع من المحـاشى من القرع والكـوسج والبـاذنجـان والكمات ، وهموا بـاصطنـاع القبـوات والجقـات ، الـلاتى هُن بالسمن مقليـات ، وباللحم والسنـوبر محشيات .. ولا تنسـوا الدجـاجات المحمـرات ، والخراف الطـريـات .. فإذا أكلتم وشبعتم فـاشكـروا رب السموات ، وفوزوا يا آكلى اللحم السمين بالنعيم المقيم » .

« أقول قولى هذا .. وأستغفر الله العظيم » .

* * *

خطبــة ثانية للأنـــــــام

عن حُسْن الطعام

* ويقول الشيخ مصطفى زين الدين الحمصى أيضًا :

- « الحمد لله الذى خَصَّنا بكل أكلٍ مفتخر ، ونهانا - وإياكم عن أكل اللفت والجزر .. فإنه يعمى البصر ، ويخلِّى القلب مثل الحجر .

« اللهم وارض عن العسل العتيق ، إذا كان السمن لـه رفيق .. فلا تكن فى أكله شفيق ؛ فإذا أكلت وشبعت فترضى عن « أبى بكر الصِّديق » .

« اللهم وارض عن شراب الجلاب ؛ إذا شُرِب بعـد الكَبـاب .. وكـان مشـويًّـا على نـار ذات التهـاب ، فكُلْ أنت وأعـز الأصحـاب ؛ فإذا أكلت وشبعت فترضَّى عن « عمر بن الخطاب » .

« وارض اللهم عن الخرفـان السمان المطبـوخـة بـالـدَّقَّـة والـزعفـران ، فأجلسهـم فى أعلى مكــان .. وكُلْ منهـم حتى يضيق منـك المصران ؛ فإذا أكلت وشبعت فترضَّى عن « عثمان بن عفان » .

« وارض اللهم عن السمن المحمىِّ الـذائب ، إذا كـان بيض الدجـاج عليه ســاكب .. فشمِّـر يديك وحـارب .. فـإذا أكلت فترضَّى عن « علىٍّ بن أبى طالب » .

« اللهم وارض عن « القلقاس » ، المسكـوب فى صحون النحاس فسن منك الأضراس ، وكُلْ حتـى تضيق منك الأنفــاس .. فـإذا أكلت وشبعت فترضَّى عن « الحمزة » ، و « العباس » .

« اللهم وارض عن الحلاوة الحمـرة ، إذا طبخت على بكرة .. فأحضرهـا بين يـديك إن كان لك قـدرة ، وكُلْ أكـلاً منها بـا لمرة .. فإذا أكلت وشبعت فترضَّى عن الستة الباقين من العشرة .

« اللهم وارض عن الضِّلْع السمين ، إذا كان فى الـرُزِّ دَفين .. وقد أبعده الله عن المفلسين ، فإذا حضر قُـدَّامك يـا مسكين .. فـاجلـس بـالتمكين ، وشَمِّـر بالشمال واليمين .. فـإذا أكلت وشبعت فترضَّى عن بقيـة الصحابـة أجمعين .

« وارض اللهم عن الصدرين الكبيرين ، الذين هم بـالبقلاوة والكنافة معمـرين .. فإذا وضعـوا قُـدَّامك فشمـر اليـدين ، وبَحْلق العينَين .. وسنِّ الضرسين ، واجعل يدك فيهم إلى الرسغين .. فإذا أكلت وشبعت فترضى عن « الحَسَن والحُسَيْن » .

اللهمَ يسِّرْ لنا البغاجات والكنـافات .. ولا تحرمنا الأكولات الطيبات ، إنك سميع مجيب الدعوات .

« عبـاد الله .. إن الله أحلَّ لكم المآكل الطيبـات .. فكُلـوا واعملـوا من الصالحات ، قبل حلول الممات ، قبل أن يرفسكم الجمل فتدركون » .

* * *

« خطبة عقد نكاح »

* **وقال أحدهم خطبة فى زواج جاء فيها :**

- « الحمد لله مصور الأجنة فى ظُلَم الأرحام .. جاعل النكاح سببًا لبقاء نسل الأنام .. ووسيلة إلى اشتباك الشعوب والأقـوام .. ناظم عقد الألفة بين الزوجين أحسن نظام .. وجاعل نظام العالم مربوطاً بهذا لانتظام .

« أحمده - سبحـانـه وتعالى - على هـذه النعم العظـام .. وأشكـره على ما أولانا من بدائع الإكرام .

« وأشهـد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له شهـادة موصلـة إلى دار السلام .. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله القائل :

- **« حُبِّـب إلىَّ من دُنيـاكم النســاء ، والطيـب ، وَجُعِلَـتْ قُـرَّة عينى فى الصلاة »** .

« صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

« أما بعد .. فإن النكـاح سُنَّة مرغوبـة .. وطريقة محبوبـة .. لأن به بقاء التناسل .. ودوام التواصل .

« وقد قال الله تعالى » :

- **﴿ ومِنْ آياتِـهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُـوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾** « الروم : ٢١ »   « صدق الله العظيم » .

وقال تعالى :

- ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ « النور : ٣٢ » . « صدق الله العظيم » .

وقال رسوله الأكرم وحبيبه الأعظم :

- « تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا فإِنِّى مُبَاهٍ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَة » .

« وهـذا عقد مبارك ميمون .. واجتماع على حصول خير يكون .. فيه عقد (فلان على فلانة) .. فأسأل الله أن يُلْقى بينهما المحبة والوداد .. وأن يرزقهما النسل الصالح من البنات والأولاد .. حتى يرون الأسباط والأحفاد ، ويوسع عليهما الرزق .. ويحفظهما من مكايد الخَلْق ... آمين .

* * *

« خطبة الأعرابى السائل »

* روى « أبـو على القـالى البغدادى » - (٢٨٨ هـ - ٣٥٦ هـ) - فى الآمالى قال : حدثنا أبو بكر - رحمه الله - قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال أخبرنا أبو زيد قـال : بينما أنا فى المسجد الحرام ؛ إذ وقف علينا أعـرابى فقال خطبة جاء فيها :

- « يا مسلمون .. إن الحمد لله ، والصلاة على نبيه .. إنى امرؤ من أهل هذا الملطاط[١] الشرقى .. المواصى[٢] أسياف[٣] تِهامـة .. عَكَفَتْ[٤] علىَّ سنون[٥] مُحش[٦] ..فاجتنبت[٧] الذُّرى .. وهشمت[٨] العُرى[٩] وجمشت[١٠] النجم[١١] .. وأعبت[١٢] البـهم .. وهـمت[١٣] الشحـم .. والتحبت[١٤] اللحـم وأحجنـت[١٥] العظـم .. وغـادرت التراب مـورًا[١٦]

---

(١) قال أبو على : قال أبو بكر : الملطاط : أشـد انخفاضًا من الغائط وأوسع منه .. وحكى اللحيانى عن الأصمعى أنه قال : الملطاط هو كل شفير نهر ، أو وادٍ .

(٢) والمواصى والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت إذا اتصل بعضه ببعض .

(٣) أسياف : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .

(٤) عكفت : أقامت .

(٥) السنون : الجدوب .

(٦) محش : جمع محوش ، وهى التى تمحش الكلا ، أى تحرقه .

(٧) واجتبت : افتعلت من الجب ، يقال : جببت السنام إذا قطعته وكل شىء استأصلته فقد جبته .

(٨) وهشمت : كسرت .

(٩) والعرى : جمع عروة ، والعروة : القطعة من الشجر ، لايزال باقيًا على الجدب ترعاه أموالهم .

(١٠)وجمشت : احتلقت .

(١١) والنجم : ما نجم ولم يستقل على ساق .

(١٢) وأعجت : أى جعلتها عجايا ، والعجى : السيىء الغذاء المهزول .

(١٣) وهمت : أذابت ، والعرب تقول : همك ما أهمك ، أى أذابك ما أحزنك .

(١٤) التحبت اللحم : عرقته عن العظم .

(١٥) أحجنت العظم : أى عوجته ، فصيرته كالمحجن .

(١٦) والمـور : الـذى يجىء ويـذهب . قـال إسماعيل : والمور : الطـريق ، و (المور) - بضم الميم - الغبار بالريح .

والماء غورًا[١] . والناس أوزاعًا[٢] .. والنبط[٣] قعاعا[٤] ، والضهل[٥] جزاعا[٦] والمقام جعجـاعا[٧] .. يصبحنا الهاوى[٨] ، ويطرقنا العاوى[٩] .

« فخـــرجت لا أتلفـع[١٠] بـوصيـده[١١] ولا أتقـــوب هبيـــده[١٢] فالبخصات[١٣] وقعة[١٤] ، والركبات زلعة[١٥] ، والأطراف قفعة[١٦] ، والجسم مسلهم[١٧] ، والنظر مدرهم[١٨] .

---

(١) والغور : الغائر .
(٢) الأوزاع : فرق .
(٣) النبط : الماء الذى يُستَخْرَج من البئر أول ما تحفر .
(٤) والقعاع : الماء الملح المر .
(٥) والضهل : القليل من الماء .. ومنه قيل : ما ضمل إليه من شىء .
(٦)والجزاع : أشد الميـاه مرارة ، قال يعقـوب : ويقال : ماء ملـح ، فإذا اشتدت ملوحتـه قيل : زعاق وقعاع وأجاج ، وحراق ، أى يحرق أوبار الماشية من شدة ملوحته .
(٧) والجعجـاع : المكان الـذى لا يطمئن من قعـد عليـه .. وقال أبـو عمـرو الشيبانى : الجعجـاع : الأرض، وكل أرض جعجاع .
(٨)الهاوى : الجراد .
(٩) العاوى : الذئب .
(١٠)التلفُّع : الاشتمال ، وقال أبو على : هو اشتمال الصماء عند العرب ، وهـو ألا يرفع جانبًا ، فتكون فيه فرجة .
(١١) الوصيدة : كل نسيجة .
(١٢) الهبيد : حب الحنظل يعالج حتى يطيب ، فيختبز .
(١٣) البخصات : واحدها : بخصة ، وهى لحم باطن القدم .
(١٤)وقعة : من قولهم : وقع الرجل إذا اشتكى لحم باطن قدمه .
(١٥) زلعة : متشققة ، وأنشد عبيد بن الحصين :

وغملى نصى بالمتان كأنها * ثعالب موتى جلدها قد تزلعا .

(١٦) قفعة ومقفعة : واحد ، وهى التى قد تقبضت ويبست .
(١٧) المسلهم : المدبر فى جسمه ، والمسلهم أيضًا : الضامر المتغير .
(١٨) المدرهم : الضعيف البصر ، الذى قد ضعف بصره من جوع أو مرض .

«أعشوا[1] فأغطش[2] ، وأضحى فأخفش ، أسهل ظالعًا[3] ، وأحزن راكعًا[4] .

« فهل من آمرٍ بمير[5] ، أو داعٍ بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر[6] ، وسوء الموارد ، وفضوح المصادر .

« قال : فأعطيته دينارًا ، وكتبت كلامه ، واستفسرته ما لم أعرفه .

* * *

(١) أعشو : أنظر .
(٢) أغطش : أي أصير غطشًا ، والغطش : ضعف في البصر .
(٣) أسهل ظالعا : يقال : إذا مشيت في السهول ظلعت ، أي غمزت .
(٤) وأحزن راكعا : أي إذا علوت الحزن ركعت ، أي كبوت لوجهي .
(٥) والمير : العطية من قولهم : مارهم يميرهم ميرا .
(٦) قال أبو علي : الكاهر ، والقاهر : واحد ، وقد قرأ بعضهم : « فأما اليتيم فلا تكْهَر » .

خطبة العيــون

* يقول « البدرى »[*] : (٨٤٧-٨٩٤هـ) .

- « الحمـد لله الـذى زين ريـاض الـوجـوه بنـرجس العيـون .. وأنبت محاسن أرضهـا شعرات الجفـون .. وأفاض على حدائق أحـداقها مـن بحار أنوار كـرمه عين الحياة .. وأجراهـا فى مجارى العروق النابتة أصـلاً حتى تفرع إنسانها فبصرَّه وأرواه .. وأطلع من دعْج أغصان شجـرات أهدابها ورق آماق ضل فى السواد الأعظم ، حتى ناداه أنوار نوار المقلة ، أهدى بها فأينع اللحظ وأزهر ، .. وتفتحت غـوامض أزهار الناظـر فأبصر .. وعقد له الطـرف فتورًا فأثمر بشريف مرأى لا يقاس بنفيس جوهر .

« قرنهم - سبحانه - معنى وحسًّـا بسواد الليل ، وبياض النهار . . إن فى ذلك لتبصرة لكم وعبرة ، « **فاعتبروا يا أولى الأبصار** » [1].

« أحمده حمدًا جزيلاً ليكـون لى كَفْو عين .. وأشكره شكرًا مـزيدًا على أن عافانى وكفانى كف العين .

« وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له الناقد البصير .. « وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى رآه جهرة بطرف قرير .. واستعاذ به من شر ذى

(*) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد أبو البقاء تقى الدين البدرى الدمشقى المصرى الوفائى .

(١) سورة الحشر : ٢ .

العين ، وركض بقدمه المبارك فأنبع له عين فهو عينى السعادة والسيادة الذى رد بتفْلته الشافية عين قتادة .

اللهم فصلِّ عليه وعلى آلـه وأصحابه عيون الأعيان .. صلاة دائمة مادامت تشاهد النيران العينان .

* * *

خطبـة رنانـة
فى المضحكخانة

* من الخطـب التى كـانـت تُلقى - على سبيـل الفكـاهـة فى (المضحكخانة تلك الخطبة التى ألقاها بعضهم أمام رئيسها « الشيخ حسن الآلاتى » (ت ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م).. فقال: بـلا افتتاح ، ولا استهـلال ، ولا سلام على الصحب والآل :

- « فلقـد بـاضت على رءُوسـكم أفـراخ أفـراح يـاميش درويش الانبساط » .. «وفاضت على نفوسكم بمغنـاطيس كابيس برد عسيس أشد ، أهد ما يكون البقسماط » .

« وصاح قرنابيط الملك فى زنجبـار السرور .. وتقلفطت زنابيل الحظوظ فى حصان الوابور .

« وقد فرشت لهم فى هياض بياض حياض التنكيت أجعصها حصيرًا .. فصرتم تكـرُّون كـرَّ الزنابـير .. وتفرون فَـرَّ الـدَّبابير ، وكنتـم قومًـا سيلقـون حميرًا .

« ولبستم من المودة والشـدة ثـوبًـا مخيطًـا .. فـلا أنتم فى السماء ولا فى الأرض ، وكانت جهنم بكم محيطًا .

« وقد صدق الشاعر الجعيص ، المسمى بالشيصبيص ، حيث مدحكم فقال :

أنتـم كـرام بـرام لا تطـيـر لكـم

في الحلكش والدكـش والسودان والبضن

تـاكلـوا الضيـوف إذا مطـوا لبلـدتكم

أنتـم لهم ملجـأ يـا منتهـى ورنـى

يـاسـادة حـزتم كل الفخـار ويـا

مـن دأبهم أكلنـا فى السر والعلـن

من ذا يفـاخـركم أو مـن ينـاظـركم

أو من يعـاشركم فى الـوقت والـزمن

أنتم أكلتم كـلاب القطـر قـاطبـة

أنتم لكـم صنعـة فى سرقـة الكفن

أقول قولى هذا .. والسلام .

* * *

خطبة فى الحث على الأكل

* « الحمد لله جاعل الطعام من أهم النعـم .. وجاعل الداعى إليه بين « لا » و « نعم » .

سبحـان الله العظيم الذى خصـص بعموم نعمـه ، من قيـد آمالـه على مطلق كرمه ، طيب الأوقات فى حِلِّهِ وحَرَمِه .

فمن سعى إليه قوتـــه بـالصفا ، وجـــاوره فى مكان حتى أكل منــــه وكفى .. فليلتزم الطـواف بهذا المقام ، أبـرز البحر حـاويًا بـالبهجة والسرور ومنها جاء لروضة شرح الصدور .

نَبَّه القلب المحروم لدقائق الأمـور ، فتعلقت بمهمات المقاصد ؛ لتظفر بـالكفـاية من الموائد .. عن بسـط الخوان ، وانبساط الإخـوان ، بـالمرام رفع بنصب الأطعمة على الموائد .. كسر القلوب الجازمة بالشبع المتزايد .. حيث يكون الناس بين آكل محسود .. ومحروم حاسد ، ويكون أكثرهم شبعًا أول من قعد ، وآخر من قام ..

نوَّر بَصَر من شـاء ؛ فشاهد الأطعمة فى الأوقـات المشهودة ؛ فلم تقصر همته عن الموائد وهى محدودة ؛ بل زاحم عليها لَمَّا عَذُبَتْ مناهلها الموررودة .

والمنهل العذب كثير الـزحام ، فيا مـن يجاهد ، كيما يشاهـد فوق الموائد أوزًا ودجاجًـــا ، مـا ورديـــة ومزاجـًا ، بقـلاء وسكباجًــــا .. إن لم تجــدنى هنـالك وأعـوذ بـالله من ذلك .. فـلا تنس ذِكْـــرِى عنـد مغيبى ، وابعـث لى نصيبى .. والسلام .

* وقال يتغزل فى الأكل :

يـــــا واصف الأكـل كُفيت الملام
كـــرر على سمعى لـــذيـــذ الكـــلام

وغَـنِّ غَنِّى فى الــــورى معلنًـــــا
مــا طــاب وقتٌ قــد خــلا من طعــام

واجـــزم بـــرفع الكسر مهما بـــدت
مـــائدة قـــد نصبتهـــا كـــرام

كم عـــابس من جـــوعـــه قـــد رأى
مـــوائد الأكل غـــدًا فى ابتســـام

أيـــا مـــزاجًـــا فى الصحن لـــو
حلّيت قلبى لم يكـن ذا حـــــرام

زرنى بها مـــونيـــة قـــد بـــدا
للسكـــر المنثـــور فيهـــا انتظـــام

مــا أحــلاك يــا قطــر النبــات الــذى
قـــد خــاض فيــه الموز آخى وعـــام

وأنت يـــا ذا الموزيـــا من غـــدا
مـــالى أمـــالىَّ عليك الســـلام

لا تقطع الـــــــوصل حبيبى وقُم

زُرنى ولــو بــالطيف عنــد المنــام

يــــا من تحاشى قلبـــه عن نـــوى

قُـم طيِّب العشـــاق فى ذا المقـــام

* * *

من خطبة فى الأكل أيضًا

* « الحمد لله الذى أنعم على عباده بالأكل والشُّرب .. وجعل الكرماء من عباده يبذلون منه فى البُعد والقُرب .

سبحان الله العظيم الذى مَنَّ عَلَى عباده بأنواع اللطايف ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ، وألهمه إذ علَّمه فعمل ، كما علَّم من السكر حشو القطايف .

سَخَّر البيـاعين للبلاَّعين ؛ فمنهم الجالـس فى دكانه والطـائف ، جعل قلب الفستق بعد الكسر مجبورًا ، أنزله سيول قطر النَّبات ، من جبال السكر الراسيات إلى بطون أودية القطارات .. وجعل فيها حلاوة ولذة .

أظهـر من بطون النحـل عسلاً حَـلَا وطـاب ، وذكره فى محكم الكتـاب وسماه فيه بالشراب وبالشفالـه قد وصف ، فهامت به الأرواح ، وراحت إليه ترتـاح .. ولم يزل عنـدها يـا صاح مشكـورًا .. نَزَّه أربـاب العقول الـزكية .. والقلوب الزكية عن تعاطى خبث الحوامض .

أوقف لـــديهم جبن الحالـوب ، وحماهم من دوده المتنـــاقض ؛ فصفت أسرارهم ، وزكت أفكـارهم .. فهامـوا إلى العسل وهـو على القشدة فـايض وفازوا إذ حازوا بذلك بهجة وسرورًا .. أخرج من القصب قطرًا وقطارة ، وقندًا وسكرًا .

أظهر الموز بقـدرته ، وصيره بحكمتـه بعد خضرتـه أصفرًا ، جعـل أكله لعباده فى بلاده حلالاً ؛ فلا يقولون فيه إذا استوى وحلا (لا) .. بل يأكلونه مقشرًا وبلا قشر ، ومنزوعًا من قشره ، ومقشورًا .

أما بعـد :

وصف الرقاقـة

فلقد قال بعض أهل الأدب كنا فى حلقـة أبى عمرو النميرى ، فتذاكرنا قول بشار فى وصف الخباز الذى يصنع الرقاق :

إن أنس لا أنـس خبـازًا مـررت بـه

يـدحـو الـرقـاقـة وشك اللمحِ والبصرِ

مـا بين رؤيتهـا قـوراء فى يـده

وبين رؤيتهـا حمراء كـالقمـرِ

إلا بمقـدار مـا تنـداح دائرة

فى صفحـة الماء يُلقى فيهـا بـالحجـرِ

* * *

إن هـذا الشعر مع بلـوغه نهايـة الإجادة ، فهـو كامل فى الـوصف ؛ أى لايحتاج إلى بيت آخر يوضحه ، أو يدخل عليه فيه .

* * *

كيف يقضى صومه

ولقد جاء رجل إلى فقيه فقال : أفطرت يومًا فى رمضان لمرض نزل بى فما علىَّ ؟ قال : اقضِ يومًا مكانــه ، قال : قضيتُ إلا أنى أتيت أهلى وقد صنعوا مأمونية ؛ فسبقتنى يدى إليها ؛ فأكلت .. فماذا علىَّ ؟ قال الفقيه : اقضِ يومًا آخر .

قال : قضيت إلا أنى دخلـت على أهلى فوجدتهم قـد صنعوا هـريسة ؛ فسبقتنى يـدى إليهـا فأكلت فماذا علىَّ ؟ قال : أرى أن لا تصـوم إلا ويـدك مغلولة إلى عنقك .

والســـلام .

* * *

خطبة الفتح الأعظم

*** خطب بها القاضي « محيى الدين بن الزكى » على منبر المسجد الأقصى عقب إنقاذ « صلاح الدين الأيوبى » بيت المقدس وبلاد فلسطين من أيدى الأوربيين (سنة ٥٨٣هـ) فقال :**

- « الحمد لله مُعزِّ الإسلام بنصره ، ومُذِل الشرك بقهره .. ومُصَرِّف الأمور بأمره ، ومُديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره .. الذى قَدَّرَ الأيام دولاً بعدْلِه ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله وأظهر دينه على الدِّينِ كُلِّه .. القاهر فوق عباده فلا يُمانَع ، والظاهر على خليقته فلا يُنازع ، والآمر بما يشاء فلا يُراجَع ، والحاكم بما يريد فلا يُدَافَع.

أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ، ونصره لأنصاره وتطهير بيته المقدَّس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى ﴿ لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كُفوًا أحد ﴾ شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه.

وأشهد أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله ؛ رافع الشك ومدحض الشرك ، وراحض الإفك الذى أُسرِيَ به من المسجد الحرام إلى

المسجد الأقصى ، وَعَرَجَ به منه إلى السماوات العُلَى إلى سِدْرَة المُنتَهى عندها جَنَّة * المأوى إذْ يَغشَى السِّدْرَة ما يَغْشَى ما زاغ البَصَر وما طَغَى .

صلى الله عليه وعلى خليفته « أبى بكر الصديق » السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » أول من رفع عن هذا البيت شعار الصُلْبان وعَلَى أمير المؤمنين « عثمان بن عفان » ذى النورين .. جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين « على بن أبى طالب » ، مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس :

أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العُليا ؛ لما يَسرَّهُ الله على أيديكم من استرداد هذه الضالَّة من الأمة الضالَّة .. وردها إلى مقرِّها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريبًا من مائة عام وتطهير هذا البيت الذى أَذِنَ الله أَنْ يُرْفَع ويُذْكَر فيهِ اسمهُ ، وإماطة الشرك عن طُرقه بعد أن امتد عليها رواقه ، واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد .

فإنه بنى عليه ، وشيد بنيانه بالتمجيد ؛ فإنه أُسِّسَ علَى التقوى من خلفه ومن بين يديه ؛ فهو موطن أبيكم « إبراهيم » ، ومعراج نبيكم « محمَّد » عليه الصلاة والسلام .. وقِبْلَتكم التى كنتم تُصَلُّونَ إليها فى ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، ومَقَر الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزل به تنزل الأمر والنهى .

وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين ، وهـو المسجد الذى صلى فيه رسـول الله صلى الله عليه وسلم با لملائكة المقربين .

وهو البلـد الذى بعث الله إليـه عبده ورسولـه ، وكلمته التى ألقـاها إلى مريم وروحه «عيسى » الـذى شَرفَه الله برسالتـه ، وكَرَّمه بنبوته ، ولم يـزحزحه عن رتبة عبوديته .. فقال تعالى :

- ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكـون عبدًا لله ولا الملائكـة المقـربون﴾ «سورة النساء - الآية ١٧٢ » .

كذب العاذلون بالله وضلُّوا ضلالاً بعيدًا :

- ﴿ مـا اتخذ الله من ولد ومـا كان معـه من إلـٰـهٍ إذًا لذهب كل إلـٰـه بما خلق ولعلا بعضُهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾« المؤمنون - الآية ٩١ » .

﴿ لـقـد كفـر الـذين قالـوا إن الله هـو المسيح ابن مـريـم ... ﴾ « المائدة - الآية ٧٢ ». وهـو أولى القبلتين ، وثانى المسجـدين ، وثالث الحرمين . لا تُشَـد الرِّحال بعد المسجـدين إلا إليه ، ولا تُعقد الخنـاصر بعد الموطِنَيْنِ إلا عليه .

ولولا أنكـم ممن اختاره الله من عبـاده ، واصطفاه من سكـان بلاده ؛ لما خَصَّكُم بهذه الفضيلـة التى لا يجاريكم فيهـا مُجارٍ ، ولا يبـاريكم فى شرفهـا مُبارٍ .

فطـوبى لكم من جيش ظهـرت على أيـديكم المعجـزات النبـويـة والوقعـات البدرية ، والعـزمات الصدِّيقية والفتـوحات العُمَريـة ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العَلَوية .

جـددتم لـلإسلام أيـام القـادسيـة ، والملاحم اليرموكيـة ، والمنـازلات الخَيْبرية ، والهجمات الخالدية .

فجـزاكـم الله عن نبيـه « محُمَّـد » ﷺ أفضل الجزاء ، وشكـر لكـم مـا بذلتموه من مهجكم فى مقـارعة الأعداء ، وتَقبَّل منكم ما تقـربتم به إليه من مهراق الدماء ، وأثابكم الجَنَّة فهى دار السعداء .

فاقدروا ـ رحمكم الله ـ هذه النعمة حـق قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكـرهــا فلـه المِنَّـة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمــة ، و تـرشيحكم لهذه الخدمة.

فــهذا هـو الفتــح الـذى فتِحت له أبــواب الســماء ، وتبلجــت بأنــواره الظلماء، وابتهج بـه الملائكـة المقربــون وقَـرَّبِـهِ عينًـا الأنبيـــاء والمرسلـــون ، فَمَنٌّ عليكم من النعمة بأن جعلكـــم الجيش الذى يفتـــح عليه ببيت المقدس فى آخـــر الزمان ، والجنـــد الذى تقـــوم بسيوفهم بعد فترة من النبــوة أعـــلام الإيمان ؛ فيوشك أن يفتح الله على أيديكـم أمثاله ، وأن تكـون التهانـــى بـه بين أهـــل الخضراء أكثـــر من التهـانى بين أهل الغبراء .

أليس هو البيت الـذى ذكره الله فى كتابـه ، ونص عليه فى محُكَمِ خطـابه فقال تعالى :

- ﴿ **سُبحـان الـذى أَسرَى بِعبْدِهِ ليـلاً مِنَ المسجـد الحرَام إلى المسجـد الأقصَا** ﴾ « الإسراء - الآية ١ » .

أليس هو البيت الذى عظمته المِلَل .. وأثنت عليه الرُّسل .. وتليت فيه الكتب الأربعة المُنَزَّلة من إلـٰهكم عز وجل .

أليس هو البيت الذى أمسك الله تعالى الشمس على « يوشع » لأجله أن تغرب ، وبَاعَدَ بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب .

أليس هو البيت الذى أَمَرَ الله عز وجل « موسى » أن يأمر قومه باستنقاذه ؛ فلم يُجِبْهُ إلا رَجُلان ، وغضب الله عليهم لأجله ؛ فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان .

فاحمدوا الله الذى أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل ، وقد فضلهم على العالمين ، ووفقكم لما خُذِل فيه أُمم كانت قبلكم من الأُمم الماضين .. وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أَمضَتْه : كان وقد عن سوف وحتى .

فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمِن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم جنده .. وشَكَرَ لكُم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ، ونَشر التقديس والتحميد .. وما أمطتم عن طُرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث .

فالآن يستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلىٍّ عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا ـ رحمكم الله ـ هذه الموهبة فيكم .. واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى مَنْ تمسَّك بها سَلِم ؛ ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم.

واحذروا من اتباع الهوى ، وموافقة الردى ، ورجوع القهقرى ، والنكول عن العدا .. وخذوا فى انتهاز الفرصة وإزالة ما بقى من الغصَّة وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه إذ جعلكم من خير عباده.

وإياكم أن يستزلكم الشيطان ؛ أو يتداخلكم الطغيان .. فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وبخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى مواطن الجلاد .

لا والله ﴿ **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ [1] .

فاحذروا ـ عباد الله – بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخَصكُم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين – أن تقترفوا كبيرًا من مناهيه ، وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه .. فتكونوا ﴿ **كالَّتى نَقَضَتْ غَزْلَها من بَعْد قوةٍ أنكاثًا** ﴾ [2]، وكالذى ﴿ ... **آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾[3] .

والجهاد الجهاد ؛ فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم . انصروا الله ينصركم .. احفظوا الله يحفظكم .. اذكروا أيام الله يذكركم .. اشكروا الله يزدكم ويشكركم .. جِدُّوا فى حسم الداء ، وقطع شأفة الأعداء ، وتطهير بقية

---

(١) آل عمران – الآية ١٢٦ .

(٢) النحل – الآية ٩٢ .

(٣) الأعراف – الآية ١٧٥.

الأرض من هذه الأنجاس التى أغضبت الله ورسوله ، و اقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية ، والمِلَّة المحمدية : الله أكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله مَنْ كَفَر .

واعلموا ــ رحمكم الله ـ أن هذه فرصة فانتهزوها ، وفريسة فناجزوها وغنيمة فحوزوها ، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها ، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجَهِّزُوها .

فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها ؛ فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون .. فَكيف وقد أضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قال الله تعالى :

- ﴿ إن يَكُن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ « الأنفال - الآية ٦٥ » .

أعاننا الله وإياكم على إتباع أوامره والازدجار بزواجره ، وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده :

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ « آل عمران - الآية ١٦٠ » .

إن أشرف مقال يقال فى مقام ، وأنفذ سهام تمرق من قسى الكلام ، وأمضى قول تجلى به الأفهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلام .

قال الله تعالى :

- ﴿ وإذا قُرِىء القُرآن فاستمعوا له وأَنْصِتُوا لعلكم ترحمون ﴾

« الأعراف - الآية ٢٠٤ » .

* * *

خطبـــة وفاء النيل

*** من خطب الشيخ « زكريا الأنصارى » قال خطبة بمناسبة وفاء النيل بعد أن حمد وصلى وتشهد :**

- « اعلمـوا أن الله قـد شَقَّ أحـداق حدائق الـريـاض ، لتمام الانتفـاع بزهرات مختلفـات الأنواع ، وتفكروا فى صنع الله وحكمته .. الـذى أنزل هذا النيل من سماء مملكتـه ، إلى بحر عظمتـه بكيل مكنون ووزن مـوزون .. يعلم عدد قطراته على كل قطرة ملائكة يسبحون الليل والنهار لا يَفْتَرون .. فيهبط على جبال مرتفعة .. وتقذفـه إلى أرض منخفضة .. وأودية متسعة .. لا سائق من الآدميين يسوقـه .. ولا عائق بالليل والنهـار يمنعه ويعـوقه .. حتى يأتى أرض مصر فينفع من فيها من الأحرار والعبيد وتابعيها .

وفَجَّرَ الأرض عيـونًا لكل إقليم أوجـده الله فيها .. **﴿قد علم كل أُناس مشْرَبَهُم﴾**[1] الذى يشربون .. أفترى أحـدًا يزيد فى تياره .. أو ينـادى بزيادة مقداره :

- **﴿ أفـرأيتم الماء الـذى تشربـون * أأنتم أنـزلتمـوه من المُزن أم نحن المُنزلون ﴾** « الواقعة - ٦٨ ، ٦٩ ».

وأذن ليوم شهود عموده .. عند وفاء حقوقه وحدوده ، فيجبر بقطع سده كل قلب محزون .. فعمت بَرَكَته البِرَك والخِلْجَان ، وسـار بيد القُدْرَة فى سائر البلـدان .. فيرتـوى بـــه الظمآن .. فيحمـده الحامـدون ، فتصبح الأرض لجة

---

(١) سورة البقرة - الآية ٦٠ .

بيضاء كأنها صرح ممرد من قواريـر .. وجاء فى أوانه من غير تأخير ولا تقديم .. ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ « سورة يسٓ - الآية ٣٨ ».

فاجتنبـوا - رحمكم الله - ركوب النيـل مع ارتكاب الكبـائر .. وعَظِّمُوا حُرْمَتَـهُ باجتناب المآثم والجرائر .. وتجنَّبوا سبب النقَم .. فإن المعـاصى تزيل النعم ، واجتنبوا الغناء والدُّف والمزمار على وجه الماء لعلكم ترحمون .

جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ أنه قال :

- « من عصى الله فوق الماء فكأنما عصـاه فوق أجنحـة الملائكة .. ومن عصاه فى المقبرة فكأنما عصاه يوم القيامة » .

أو كما قال .

* * *

خطبـة افتتاح الدرس

* ألقى « تقى الـدين أبـو الفتح السـبكى » محمـد بن عبـد اللطيـف بن يحيى « - الـذى كـان أديبًـا وفقيهًـا ومحدثًـا ونـائبًـا فى الحكم ، والمتـوفى عام٧٤٤هـ والمدفون بقاسيون .. خطبة عندمـا عُينَّ مدرسًا بالمدرسة الركنية بمصر ، افتتح بها دروسه .

وقـد وصف صاحب الطبقـات ، هــذه الخطبة بأنهـا « فائقـة » - قال فى مطلعها :

- « الحمد لله نـاصر الملك الناصر للدين الحنيفى .. وممضى عـزائمه ، ومُشَيِّد أركانـه بالقائم بالشرع المحمدى .. ومقـوى دعائمه ، ومخصص أهل التقــوى بعلى مــا خطب أهل التقصير بمعــالمه .. وجــامع شمل المتقين بمكـارمه، وشـامل جميع الموقنين بمراحمه .. والمتفضل على من التجأ إليـه .. واعتمد فى أموره عليه » .

وبعد الحمد والشهادة والصلاة قال :

- « أما بعد : فإن غريب الدار ، ولـو نال مناط الثُّريا فيكفى أن يقال : غريـب .. وبعيد المزار ولو تهيـأ له ما تهيأ ، فما لـه فى الراحـة منهم نصيب ، ولِمشقـة الغربـة ازدادت رتبة الهجـرة فى العبادة .. وشرفت الـوفاة حتى جـاء موت الغريب شهادة .

والغربة كُربة ، ولـــو كانت بين الأقــارب .. ومفارقــة الأوطـــان صعــبة ولـو عن سم العقـارب .. فأنَّىٰ يقاس ببـلاد الغـربـة - وإن شرف قدرهـا ، وعذب شرابها - .

بــلاد بها نبطـــت عليَّ تمائمي * وأول أرض مسَّ جلـدى تـرابُها

لم يورد صاحب الطبقات من هذه الخطبة إلا نحو عشرين سطرًا بما فيها ديبـاجتها .. ولـو أوردهـا بتمامها لكـانت كسبًا محمـودًا .. وقـد قال عنهـا : «والخطبة طويلة فائقة اقتصرنا فيها على ما أوردنا » .

هـــذا ويبـدو أن الخطيب تحـدث فيهـا عن « الغربـة » لأنه من بـلاد الشام [1] .

* * *

(١) طبقات السبكى جـ ٥ ص ٢٤١ ، ٢٤٦ .

خطبـة طالب زراعة

عن مشاكل الساعة

* خطب « يـوسف بن عبـد الخالق بن عـوف » المولود سنـة ١٩٢٨ .. فقال :

- « الحمـد لله الـذى جعل طـالب الزراعـــة مهندسًـــا .. وعنـــد تخرجـــه فى مهنتـــه العريقـــة متخصصًـا .. ثـــم بعد قيـــده فى جـدول النقـــابـة ممارسًا .

نحمدك اللهم يـا من فى كلية الـزراعة أدخلتنـا .. وبالنجـاح والتخرج وعدتنا .. ثم فى الوظائف العالية أطمعتنا .

اللهم إنـا نسألك أن تنصف الزراعـة والـزراعيين .. وأن تجعلنا - بعـد التخرج - موظفين وزراعين ناجحين .

اللهم الغِ لنـا مـا يسمى بمـدة التمـرين .. واصرف لنـا بـدل تفتيش وتخصص يا معين .

اللهم ألحقنـا بـالسفـارات كملحقـــين .. وبالدبلوماسيـــة من العاملـــين .. اللهم اجعـل لنا فى كل إقطـاعيـة نصيبًا .. وفى كـل عزبـــة خـريجًا .. اللهم ارحمنا من التفـاتيش .. فتسهل لنا لقمـة العـيش .. اللهم لاتـــدع الإحـالة إلى المعـاش من نصيـب مسجلنا اللـذيذ .. فإنـه - والله - علينا لعزيز .

اللهــــم احفظ لــنــا « الشـــورتهـورن »[1] الطلوقـــة العبقــرى .. ثم ارحمنا - يارب- من علم الطب البيطرى .

اللهم إنــا نتشفع بمن كان للمـرسلين إمامًا .. أن تجعل معمـل الكيميا علينا بردًا وسلامًا .

* روى عن « السيد ابن أبى حريقة بن المتقعتكنفكبعقب بن المندلش» (لا فض فوه) أنه قال :

- « ذاكروا : تنجحوا .. فإنــه - والله - قد آن الأوان .. وفى امتحان كلية الزراعة لا يكرم المرء ، بل يُهان » .

* وعنه أنه قال :

- « من ذاكر وحـده ، فقد استحق النجاح .. أما من ذاكـر فى شلة ففى داهية قد راح .

أو كما قـال : اللهم احفظ لنـا عميدنـا (آمين) وأسـاتذتنـا (آمين) ، ومساعـدى أساتذتنا (آمين) .. ومـدرسينا (آمين) ، ومساعدى مـدرسينا. (آمين) ومعيـدينـا ومحاضرينـا (آمين) .. وزميلاتنـا (آمين) ، ومسـاعـدى زميلاتنا (آمين) .. والباقى من فراشين ، وعمال وجرسونات ..

إنك سميع عليم مجيب الدعوات .. يارب العالمين » .

* * *

(1) نوع من الثيران .

خطبة الإنسان
فى طبائع الحيوان

* خطب «خالد بن عتاب ورقاء الرياص» فقال فى خطبته بالمربد :

- « يابنى رباح : لا تحقروا صغيرًا تأخذون عنه .. فإنى أخذت من الليث : بسالته .

ومن الحمار : صبره ..

ومن الخنزير: حرصه ..

ومن الغراب : حرزه ..

ومن الثعلب : روغانه ..

ومن السنور : ضرعه ..

ومن القرد : محاكاته ..

ومن الكلب : نصرته ..

ومن ابن آوى : حذره ..

وتعلمت من القمر : سير الليل ..

ومن الشمس : ظهور الحين بعد الحين ..

* * *

« خطبـة المبايعـة »

*** من خطبة للخليفة العباسى الحاكم بأمر الله[1] « الأول » .**

هذه خطبة منبرية جيدة ، خَطَبها الخليفة المذكور فى يوم الجمعة ٩ من المحرم سنة ٦٦١هـ غداة مبايعته بالخلافة ومبايعة السلطان « الظاهر بيبرس» بالسلطنة .. وكان موضوعها حض الناس على قتال التتار أعداء الإسلام والمسلمين .

واشتملت على عدة عناصر منها : الديباجة « المقدمة » وفيها الحمد والثناء والشهادتان والصلاة على النبى عليه السلام .. وقد تضمن الحمد إشارات تناسب المقام ، وتناسب موضوع الخطبة .. فذكر بنى العباس وماقيضه الله لهم بوجود ركن الدين « الظاهر بيبرس » ، وباستنصاره على الأعداء.

وتحدث بعد المقدمة عن الإمامة وضرورتها للناس والمجتمع ، وضرورة الذَّوْد عنها ومكافحة أعدائها .. واستحث الهمة للقتال والمحاربة ، واصفًا ما اجترحه التتار ببغداد ، منوهًا بجهاد (بيبرس) فى سبيل الدين والمسلمين.. وهذا نصها :

* « الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركنًا وظهيرًا .. وجعل لهم من لدنه سلطانًا نصيرًا .. أحمده على السراء والضراء .. وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء .. وأستنصره على الأعداء .

---

(١) الحاكم بأمر الله العباسى ، وُلى الخلافة بمصر عام ٦٦١هـ ، وظل بها حتى مات عام ٧٠١هـ .

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحـده لا شريك له ، وأن محمدًا عبـده ورسوله صلى الله عليـه وسلم وعلى آله وصحبـه ، نجوم الاهتـداء ، وأئمة الاقتـداء .. الأربعة الخلفاء .. وعلى العباس عمه .. وكاشف غمه .. وعلى السادة الخلفاء الراشـدين ، والأئمة المهديين .. وعلى بقيـة الصحابة والتـابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

أيها المسلمـون ، اعلمـوا أن الإمـامـة فـرض من فـروض الإســـلام .. والجهـــاد محتوم على جميـع الأنام .. ولا يقوم علـم الجهاد إلا بـاجتماع كلمة العـبـــاد .. ولا سُبِيت الحُرُم إلا بانتهاك المحـــارم .. ولا سفكت الدمـــاء إلا بارتكاب المآثم .

فلو شاهدتم أهل الإسلام حين دخلـوا دار السلام .. واستباحـوا الدماء والأمـوال .. وقتلوا الـرجـال والأطفـال .. وهتكوا حـرم الخلافـة والحريم .. وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم .. فارتفعت الأصوات بالبكاء والعويل .. وعَلَت الضجـات من هـول ذلك اليـوم الطـويل .. فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه .. وكم من طفل بكى فلم يُرْحَمْ لبكائه.

فشمِّروا ساق الاجتهاد .. فى إحياء فرض الجهاد :

- ﴿ **فـاتقوا الله مـا استطعتم واسمعـوا وأطيعوا وأنفقـوا خيرًا لأنفسكم ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ « سورة التغابن - الآية ١٦ » .

فلم تَبق معذرة فى القعود عن أعداء الدِّين .. والمحاماة عن المسلمين .. وهذا السلطان الملك الظاهر السيد ، الأجـلُّ العالِم العادل المجاهد والمؤيد ، ركن الدنيا والدين .. قد قام بنصر الإمـامة عند قِلَّة الأنصار .. وشرَّد جيوش

الكُفر بعـد أن جاسـوا خلال الـديار .. فأصبحت البيعـة باهتمامـه منتظمة العقود .. والدولة العباسية به متكاثرة الجنود .

فبادروا ـ عباد الله ـ إلى شُكر هذه النعمة ، وأخلصوا نياتكم : تنصروا .. وقاتلـوا أولياء الشيطان تظفروا .. ولا يـرد عنكم ما جرى .. فـالحرب سجال والعاقبة للمتقين .. والدهر يومان ، والآخرة للمؤمنين .. جمع الله على التقوى أمركم .. وأعز بالإيمان نصركم .

وأستغفـر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين .. فـاستغفـروه إنه هـو الغفور الرحيم » .

* * *

« خطبـة الموعظة والتحذيـر »

* كان قائـــد الفتـح الإسلامـي « عمرو بـن العاص » (٥٠ق.هـ - ٤٣هـ). أول خطبـاء العـرب بالـديـار المصريـة .. وكان قائـدًا منصـورًا ، وخطيبـًا فصيحـًا ورسـولاً معـروفـًا بـالكيـاسـة والدهـاء ..

وكان لـه فى مصر صفة القـائد والحاكم والإمام ، فتنـوعت خطـابته بين الحرب والسياسة والدين ، وكثرت هذه الخطب وتعددت ، ولكن ما بقى منها قليل ؛ إذ كان التدوين قليلًا ، وكان حفظ الخطب عسيرًا ..

وإن مـا بقى من هـذه الخطب يـدل دلالـة كبيرة على بـلاغـة قـائلهـا ، ووضوح عقله وصراحتـه . فتراه فى إحدى خطبه يقرر العـلاقة بينه وبين أهل البلاد فى إيجاز وصراحة .

* خطب مرة على المنبر فقال :

- « ولقـد جلست مجلسى فى هـذا البلـد ، وليس لأحد فيـه علىَّ عهد ولا عقد ، إن شئت قتلت ، وإن شئت سبيت » .. وفى صفـات « عمرو » أنه كان فصيحًا فصـاحة جعلت « عمر » -رضى الله عنه - يـذكره لما رأى رجلاً يتعثر فى كلامه ، فيقول « أشهد أن خـالق هذا ، وخالق « عمرو بن العاص » واحد[1].

---

(١) البيان والتبيين ١-٤٧ .

ومعنى ذلك أن الله خلق الفصيح مثل « عمرو » : والتمتام مثل ذلك الرجل . وأن « عَمْرًا » كان معروفًا بهذه الفصاحة ، حتى كان أقرب من يخطر ببال « عمر » عندما أراد المقارنة .

ومما يدل على اهتمامه ، واهتمام الناس جميعًا بالقول ، ما ورد عنه بعد فتح الإسكندرية ، فقد أراد أن يرسل « معاوية بن حديج » إلى الخليفة يبشره، فطلب منه رسالة مكتوبة . فقال له عمرو : ألست امرأ عربيًّا تَقِدر على وصف ما شهدته ؟!

* * *

*** خطبة لعمرو :**

وتبدو حكمة فاتح مصر فى خطبته التى قالها فى مسجده ، فى يوم جمعة [1] بعد أن استقرت الأمور .

قام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلىَّ على نَبِيِّه ، ثم أمر الناس بالإحسان والصدقة وطاعة الوالدين : وأمرهم بالقصد ، ونهى عن الإفراط والفضول ، وقد قال فيها :

- « يا معشر الناس إياكم وخلالاً أربعًا ، فإنها تدعو إلى النَّصَب بعد الراحة ، وإلى الضِّيق بعد السعَة ، وإلى الذِّلَّة بعد العز .

« إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال ، فى غير درك ولا نوال .. إنه لابد من فراغ يؤول إليه المرء فى توديع

(١) حسن المحاضرة جـ١ ص ٥٢ وفى خطط المقريزى (٢-٢٦٠) وصف لعمرو بن العاص يقول واصفه يومئذ : كان رجلاً ربعة قصير القامة ، وافر الهامة ، أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأنه به العقيان ، تألق عليه حلة وعمامة وَجِبَّة .

جسمه ، والتدبير لشأنه ، وتخليته بين نفسه وشهواتها ، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب نفسه من العلم فيكون من الخير عاطلاً ، وعن حلال الله وحرامه عادلاً .

« يامعشر الناس قد تدلت الجوزاء ، وارتفعت الشعرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقَلَّ النَّدَى ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل .. ودرجت السخائل ، وعلى الراعى حسن النظر ، فحى بكم على بركة الله إلى ريفكم . فتناولوا من خيره ولبنه ، وخِرَافِهِ وصيده ، وأربِعوا خيلكم وأسمنوها ، وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم من عُدوكم ، وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيرًا .

« حدثنى « عمر » أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

- **« إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرًا، فإن لكم فيها صهرًا وذمة ، فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم »** .

« ولا أعلمن ما أتى رجل أسمن جسمه ، وأهزل فرسه ، واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك .. واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة ، لكثرة الأعداء حولكم ولإشراف قلوبهم إليكم وإلى داركم ، معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة .

« حدثنى « عمر » أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« إذا فتح الله عليكم مِصَر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا . فذلك الجند خير أجناد الأرض »** .

فقال له أبو بكر :

ولِمَ يا رسول الله ؟

قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة .

« فـاحمدوا الله ـ معشر النـاس ـ على مـا أولاكم ، فتمتعوا فى ريفكم مـا طاب لكم ، فإذا يبس العـود ، وسخن الماء ، وكثر الـذباب ، وحمض اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر ، فحى إلى فسطاطكم على بركة الله ، ولايقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله ، إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولى هذا ، وأستحفظ الله عليكم » .

* * *

هذه الخطبة من أصول الخطب التى حفظت لنا من تاريخ الولاة بمصر، وأشملها : فقد جمعـت بين الموعظة والتحذير ، وبين الآداب العـامة والخاصة ودعت إلى الراحة بعد النَّصَب ، وإلى متابعة العلم فى وقت الفراغ ، وإلى تمتع المرء بالشهوات مع القصد والاعتدال .

* * *

الخطبــة القاتلــة

* وللحجـاج بن يـوسف الثقفى - (٤٠هـ - ٩٥هـ) خطب شهيرة هى غـاية فى البـلاغـة تدل على دُربـة فى فن الخطابـة ، وحنكـة نادرة ومَلَكَـة معجزة .

وكـانت أقوالـه تنقض على سـامعيه كـالصـواعق القاصفـة فتنخلع لها قلوب الشجعان ، وتخور منها قوى الخوارج الأشد جراءة وبطشًا .

قيل : إنه لما ولى (العراق) ودخل الكـوفة لأول مرة ، صعد المنبر مُتلثمًا متنكبًا قـوسه ، فجلس واضعًـا إبهامـه على فيـهِ ، فـاحتقره النـاس وكـادوا يحصبونه [1] كفعلهم بالولاة من قبله .

فلما غص المجلس بأهله حسر [2] عن وجهه ، ثم قـام ونحَّى عن رأسه وقال :

أنـا ابن جـلا وطـلاَّع الثنـايـا * متى أضع العمامـة تعرفـونى [3]

إنى والله لأر ى أبصارًا طـامحة ، وأعناقًا متطـاولة ، ورءوسًـا قد أينعت ، وحان قطافهـا ، وإنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدمـاء ترقرق بين العمائم واللحى » .

---

(١) يرمونه بالحصباء : أى صغار الحجارة .

(٢) كشف .

(٣) أراد بابن جلا الواضح الأمر ، والثنايا : جمع ثنيـة ، وهى العقبة فى الجبل . وطلاع الثنايا أى : مقدم على مشاق الأمور .

هـذا أوان الحرب فاشتـدى زيم * فقد لفَّهـا الليل بسواق حُطَم[1]

ليـس بـــــراعـى إبل ولا غَنَـم * ولا بجــزار على ظهــرِ وَضَم[2]

ألا وإن أمير المؤمنين عبـد الملك نكب كنـانتـه ، وعجم [3] عيـدانها فوجدنى أصلبها عودًا ، وأشدها مكسرًا .. فوجهنى إليكم ، ورماكم بى .

أما والله يا أهـل العراق ، ومعدن الشقاق والنفـاق ، ومساوىء الأخلاق لألحونكم[4] لحو العصـا ، ولأعصبنكم [5] عصب السَّلَمة [6] ، ولأقرعنكم قرع المروة[7] ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل [8] .

أهل العراق عبيـد العصا ، وأولاد الإماء ، أنا الحجـاج بن يوسف ، والله ما أحلف إلا وفيت ، وما أخلق إلا فريت [9] .

إياكم وهذه الزرافات[10] والجماعات ، وقـال وقيل ، وما يكون ومـا هو كائن ، وما أنتم وذلك ؟ .

---

(١) الزيم : قطع من الإبل ما بين الثلاثة والخمسة عشر ، ولفها : ضمها وجمعهـا ، والسواق : السائق والحطم : الراعى الظلوم للماشية .

(٢) الجزار : اللحام ، والوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم .

(٣) الكنانة : وعاء النبل . ونكب الكنانة : قلبها ، ونشـر ما فيها وعجم العود : عضه ليعلم صلابته من رخاوته .

(٤) لحا العصا : قشرها .

(٥) عصب الشجر : ضم ما تفرق من أغصانها ، ثم خبطها ليسقط ورقها .

(٦) شجرة أرادوا قطعها عصبوا أغصانها عصبًا شديدًا حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوها .

(٧) أصلب الحجارة ويعرف بالصوان .

(٨) غـرائب الإبل : هى الإبل الغـريبة ليست لأهل الـواردة (القـادمة لـورود الماء) .. فتضرب وتمنع الورود.

(٩) خلق الثوب: قدره قبل قطعه . وفرى : قطع ، يقول : لا أشرع فى أمر إلا أتيت على آخره مهما كان.

(١٠) الزرافة : الجماعة من الناس مما فوق العشرة إلى العشرين .

لينظر الرجل فى أمر نفسه ، وليحذر أن يكون من فرائسى .. يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين .

فقال الكاتب : « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى مَنْ بالعراق مِنَ المؤمنين .. سلام عليكم ؛ فإنى أحمد الله إليكم ... » .

فصاح الحجاج : اسكت يا غلام !! .

ثم قال مغضبًا : يا أهل العراق يا أهل الفرقة والضلال ، يسلم عليكم أمير المؤمنينَ فلا تردون عليه السلام ؟ أما والله لأؤدبكم أدبًا سوى هذا الأدب .. اقرأ يا غلام الكتاب .

فلما بلغ الكاتب السلام ، قال أهل المسجد : « وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته » .

* * *

خطبــة تهديــد

* وخطب « الحجاج بن يوسف الثقفى - (٤٠هـ-٩٥هـ) - » لما قَدِم « البصرة » يتهدد أهل العراق ويتوعدهم ، فقال :

- « أيها الناس .. من أعيـاه داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطـال أجلهَ ؛ فعلَّى أَنْ أعجِّلـه ، ومن ثَقُل عليه رأسُـه ، وضعتُ عنـه ثِقْلَه ، ومن استطـال ماضىَ عُمـره ، قَصَّرت عليه بـاقيه . إن للشيطـان طيفًا ، وللسلطـان سيفًا ، فمن سقُمت سَريـرتُه ، صَحَّت عقُـوبتُه ، ومَنْ وضعـه ذَنْبُه ، رَفَعـه صَلْبه .. ومن لم تسعفه العافية ، لم تضِق عليه الهَلَكة ، ومن سبقته بادرةُ[1] فَمه ، سَبَق بدنَه بِسَفْك دمِه .

إنّى أنذِرُ ثم لا أنظر[2] ، وأحذِّر ثم لا أعذر ، وأتوعد ثم لا أعفو .. إنما أفسدكم تَرْنيق[3] وُلاتكم ، ومن استرخـى لَبَبُـه[4] ، ســاء أدبـــه .. إن الحزم والعزم سَلَبانى سوطى ، وأبدلانى به سيفى[5]، فقائمُه فى يدى .. ونِجَادُه[6] فى عنقى ، وذُبابُه[7] قـلادةٌ لمن عصـانى ، واللهِ لا آمُـر أحـدكم أن يخرج من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه ، إلا ضربت عُنُقه » .

* * *

(١) بدرت منه بادرة : سبقت منه سقطة .
(٢) أنظره : أمهله . (٣) الترنيق : الضعف فى الأمر .
(٤) اللبب : مـا يشـد فى صـدر الدابـة ليمنع استخـار الـرحل ، والمراد أن الهوادة واللين تفسـد أدب الرعية.
(٥)أى أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة فى استعمال الشدة والقوة فى التأديب فطرح السوط واستبدل به ما هو أشد منه وهو السيف .
(٦) النجاد : علاقة السيف . (٧) ذباب السيف : حدُّه .

* خطبــة للنديم المعنونة بـ :

« تنبيه اللبيب .. وتسلية الحبيب »

*** يقول عبد الله النديم : (١٢٦١ - ١٣١٤هـ).**

- « الحمـد لله ذى الجلال والإكـرام .. وعلى نبيـه الصـلاة والسـلام .. وبعد .. فأحسن حالات العشـاق .. قبول العتب ، وبث الأشواق .. لا سيما إذا لهج محب بالأحبة وغرد .. ولزم خطابهم وأنشد .

لست الملول مع التـدلل والنوى * إن لم يكن روحى على هجرى نوى

مادام يرضى منيتـى فقد استوت * عندى الإقـامة فى شبين أو نـوى

أطعمتـــه أثمار ودِّى كلهــــا * وغـذيت من ثمر المحبـة بالنـوى

نيـــة المرء غـــذاؤه وطبــــه * ومن يتـوكل على الله فهو حسبـه

خلاصة الـوجود .. ونتيجة السعود .. وغـاية العليا .. وبهجة الـدنيا .. ولطف البهـا .. ونـور النهى .. عزيـز جـدى .. وحـافظ ودِّى .. رق لفظك وكلامك .. فطاب عتبك وملامك .

إلا إنـى وإن ظننـت الـسراب مـاء .. وتخيلـت الـسحاب سـماء .. واسـتنزلت البـدر إلى الأرض .. واشتغـلت بالنفـل عـن الفـرض .. وتوهمـت الـدر من الخـزف .. والسـلامـة فى التلـف .. وتصـورت الصحـة فى الأسفار .. والبُعد عن الأمصـار .. واقتـصـرت من النقـد على النحـاس .. وفضلت الـدُّر على المـاس .. وقلت إن مصبـوغ القـماش هـو

الديباج .. وكساد البضاعة عين الرواج.. واستبدلت البحر بالنهر .. والدهر بـالشهـر .. وفضلت النجـوم على شمـوس .. أضـاءت بـالأشعـة كل وادٍ . فلست مخطئًـا فى فهمى .. وإن حَسُنَ خِطَـابَك .. ولا مسترجعًـا سهمى .. وإن لذّ عتابك .

فما رأينا كبيرًا إلا عن صغـــر .. ولا حســـن أخلاق إلا من ســـفر .. ولا بـــدر تَـــمَّ إلا بعـــد هـــلال .. ولا تمكَّـــن حُـــبٌّ إلا مـــن دلال .. وماســـمعنـا أن بيـــتًا بُنِىَ بِـــلاأســـاس .. ولا جـــيـــشًا هُـزِمَ مِنْ غير حماس .

وإنك وإن كـــرهت التفتيـش وبغضتـــه .. وأبيت المرور و رفضتـــه .. وسمعت من إخوانك ما نفرك .. وعلمت أن القـدر قَدَّم غيرك وأخَّرَك .. فلا تنكر مقدمات الأمور .. وامتحانـات الدهور .. وركوب المشاق لبلوغ الأرب واستعذاب الصبر لتفريج الكُرَب .

فعاقبـة المتاعب .. علو المراتـب .. جَهِلَ إخـوانك هـــذا فكدَّروك .. ولو علموه لاستلطفوك وأكبروك .. ألم يستعمـل الله نبيه فى التجارة .. أكان ذا تمام اللذة أم نقصًا فى الإمارة .

كلا .. فإن اللبيب من دار .. لا مـن لزم السرير والـدار .. ومن لم يظهر بحذقه .. لم يظفر بـرزقه .. فإنه وإن كان مضمونًا .. ومن الغـوائل مأمونًا .. إلا أن البركـة .. فى السعى والحركـة .. فالبطـالـة عيب الإنسـان .. والكسل بئس العنوان .. وإن كانا ليسا مقصـودين لجنابك .. ولا يتمثلان إن شاء الله ببابك .

فإن المعالى حَوْمَة وأنت فارسها .. والمفاخر روضة وأنت غارسها .. والحُسْن ذات وأنت دلاله .. والمجد عَذْبٌ وأنت زلاله .. والأدب جيش وأنت أميره .. والبيان فَلَكٌ وأنت مُنيره .. والفصاحة باب وأنت مفتاحه .. والمعارف بيت وأنت مصباحه .

ظهرْتَ فبهرت العقول بلفظك .. ونظرت فأسرت القلوب بلحْظِك .. فالمعارف والناس بين عاشق ومعشوق .. والنديم وعزيزه بين راشق ومرشوق.

إن حضرت عندى فذاتك شمس السعود .. وإن غبت عنى فذكْرُك عين الوجود .. وأسفى على لؤم الدهر .. لا على حساب اليوم والشهر .

فأنت ـ لله الحمد ـ فى غاية الرواج .. لا فقر ـ أعاذك الله ـ ولا احتياج .. ولقد راقنى وصفك الأهل .. وورودهم المورد النهل .. وركوبهم سرير النعم .. وطربهم منها بأصفى النغم .

لا زالت الأفراح تخدم موائدهم .. وأيام السرور تحمد عوائدهم .. وصعاب الأمور إليهم مذللة .. وتيجانهم بدرارى سعودهم مُكللة .. وجيد أيامهم مطوقًا بصافى إبريزهم .. وسماء وجودهم منيرة بشمس عزيزهم .. القوة الفعالة فى النفوس .. والمغناطيس الجاذب نور الشموس .. ونسيم اللطف الذى منه أوكسجين الحياة .. وزلال اللطف الذى فيه أيدروجين المياه .. والواسطة بين الذات والفوتُغراف .. والقوة الموصلة سلوك التلغراف .. وميكروسكوب النظر القوى والضعيف .. وبارومتر النسيم اللطيف .

عجب عجيب .. وسر غـريب .. اتحدنـــا فى الفكـر والعقل .. واتفقنـا حتى فى النقل .. فإنى لما خرجـت من مصر وانفصلت عنها .. وحضرت من المحروسة إلى بنها .. رأيت بـركاب العادة .. سليمان افندى وأولاده .. فقال : أريد أن تعنـون بعنوان الـوكيل .. فقلت : حسبى الله ونعم الوكيل .. فـاتنى أنسى .. وحياة نفسى .. إن عُيِّنتُ بجهـة ليس بها عزيز .. وفـاتنى من آدابه الحرز الحريز .. وما ثمـرة الحياة إذا تجردت عن اللذة .. وما مـزية النفوس إذا لم تكن أعزه .

ولم أدرِ أن القصـــد اتحاد انتقـــالنـــا فى وقت .. وإن صحَبتْكَ المعـــالى وصَحَبنى المقْتُ .. ولـو يدرى الإنســان عواقبه .. لأمن عواطبـه .. ولكنها أقدارٌ تجرى وفق مجريها .. وأغراضُ أجسام نصبت لقضاء باريها .

ومن جعل الفـرقـة سيفًـا لجيـد القـرب .. ولـذذ النـوح للمحبين ولثم الترب.. قادر على جمع الشتات .. وعدم افتراقنا حتى الممات .. فإنى من بعد أيـام قـلائل .. ظهـرت علىَّ من السقـام دلائل .. وتحيرت حيرة المديـون .. ولزمت قول ابن زيدون :

بنتم وبنـا فما ابتلت جـوانحنـا * شـوقًـا إليكم ولا جفت مـآقينـا

شغلت بها لـو شُغِلَتْ به الكـواكب لـوقفت .. أوْ حلّ بعضه بشـوامخ الجبـال لنُسفت .. أحشاء ملتهبـة .. وأعضـاء مضطربـة .. وقلب مجروح .. ودمع مسفـوح .. وفكـــر فى وَهْم .. وعقل بـلا فَهْـم .. وجسم نحيل .. من خطب جليل .. أثـارته داهيـة .. ليست بواهيـة .. وما أدراك مـا هيه .. نـار حامية .. لا يخمدها إلا الحنو .. ولا يطفئها إلا الدنو .

مَتَّعنى الله بنور ذاتك .. وأبهجنى بحسن صفاتك .. خرجنا من هـذا الباب .. إلى مـا هو الصواب .. ورفع الأكُفِّ إلى الله .. فى طلب مـا نتمناه .. حتى ينتهى الأمل .. وينقضى الأجـل .. ونحن على مـا نحب .. من النعمـة والقُرْب .

* * *

خطبة العاشقين

* يقول « شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة المغربى » (٧٢٥-٧٧٦هـ) .

- « الحمد لله الذى جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضا .. وحَبَّبَ إليهم الموت فى حُب من يهوونَهُ ، فلا تكن يا فتى بالعذل معترضًا » .

« فكم فيهم من عاشق .. ومحب صادق ».

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا

فسام صبرًا فأعيا نيله فقضا

« أحمده .. حمد من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوَى .. وشبب بذكر محبوبه إن كان تهاميًّا فى « حجاز » ، أو شاميًّا فى « نوى » .

طور إيمان إذا لاقيت ذا يمن

وإن لقيت معديا فعدنانى

« وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد ، شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد .. وقال لعاذله : لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد » .

ولو أن ما بى من حبيب مقنع

عذرت ولكن من حبيب معمم

« وأشهد أن محمدًا عبـده ورسوله شهادة من أخلـص فى موالاته .. وتبرأ من الإثم حين تولى عنه محبـوبه بخاتم ربه وبراءتـه .. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه .. ويقفـون عندما أمرهم ولا يتعدونه .. ما ذَرَّ شارق .. وهام عاشق » .

* * *

خطبــة الجمال والكمال

* ويقـول الشيخ « داود بـن عمـر الأنطـاكى الضريـر » المتـوفى عـام (١٠٠٨هـ - ١٦٠٠م) .

- « الحمـد لله الذى أطلع فى بـروج اعتدال القـدود شموس المحـاسن والجمال .. وأَهَلَّ فى منـازل السعـود بـدور اللطـائف والكمال .. وزَيَّنَ أغصـان القدود بـرمان النهـود .. ورياض الـوجوه بنـرجس اللحاظ وورد الخـدود » .

« وأَلَّفَ بَيْن مـا نظم فى الثغـور ، وقـلائد النحـور .. وجعل تسريح الأبصـار لذوى البصـائر ولطـافة الأفكـار ، من أسبـاب الافتتـان بتأمـل الحسان » .

« فنـزلهم - وإن اختلفت أغراضهم - منـزلـة الأغراض .. لـرشق قُسِىِّ الحواجب بسهام الألحاظ » .

« نحمـده على تعـديل أمزجـة فرعهـا صحـة التأمـل ، فى حسن التجمل .. وتصفيـة نفس لازمهـا الاستبصـار والتبصر فى الفـرق بين الجهل والتعقل » .

« ونصلِّى ونسلم على من بُعِثَ بنهى النفـس عن الهوى .. والإرشـاد إلى طريق العـدل والاستوا .. والأمر بإعلاء العقل على النفس .. وقهـر شهوات

الجسم ، وتقييـــد مـدارك الحس .. فحث على تهذيب النفس الأبيــة .. عن الرذائل الـدنية .. سيدنا محمـد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكـرم الأخلاق والأوصاف .. وأجمل اللطافة والعفاف .. ما نضرت الحدائق ، ونظرت الحدق وتأنق المفلق ، وتألق الفلق ».

* * *

خطبة الأبصار

« بسم الله الرحمن الرحيم »

□ وخطب « صلاح الدين بن أيبك الصفدى » (٦٩٦هـ - ٧٦٤هـ) فقال :

* « الحمد لله الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا يحتاج فى تدبير ملكه إلى المؤازرين ولا إلى الأنصار ، ولا تسع عبادة عباده فى معرفته غير الاعتراف بالإقصاء عن كُنه قدرها والإقصار .

نحمَده على نعمه التى نَوَّرَتْ بصائرَنا فرفعتنا إلى معالم الهدى ، وفتَّحت أبصارنا فَجَرَّتْنا عن مغارِمِ العِدَى ، وسَلَّمت أفكارنا من الوقوع فى أشراك الشِّرْك ومهاوى المهالك وموارد الرَّدى .

ونشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له : شهادة تُرْقَمُ حروفها على سُرادق العرش ، وتقوم بما يجب علينا فى تقصير أعمالنا من الأرش .. وتُدغِم سيئاتنا فى حسناتنا ، كما أدغم « أبو عمرو » فيحصل لها تفخيم وَرْش ..

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذى جعل رسالته إلى الخلق نُعْمى ، ورمى به الباطلَ ، فأصاب شاكلته وأصمى ، وأنزل عليه فى مُحْكَم الذِّكر ﴿ عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين جبر فقـرهم بالصِّلَاتِ والعوائد وجلسوا من كَـرَمه الجَمِّ بأعطافِ مـوائدَ على تلك الموائد ، وأصبح كل منهم وله من نوره المبين قائد .. صلاةً يَتَضوَّعُ منها الأَرَج ، وتُرْفَعُ بها لهم الدرَج ، ما أفضى مضيقٌ إلى فضـاءِ الفَــرج ، وسَقَط الأعمى ثِقَلُ الحَرَج . وسلَّم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين » .

* * *

خطبة زياد البتراء

* وقَدِمَ « زِياد بن أبيه » - (١هـ - ٥٣هـ) - البصرة سنة ٤٥هـ واليًا « لمعاوية بن أبى سفيان » ، والفِسق بها كثير فاشٍ ظاهر ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل بل قال :

- « الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعمًا ، فألهمنا شكرًا » .

« **أما بعد** : فإن الجهالة الجَهْلاء[1] ، والضلالة العمياء ..والغَىَّ المُوفِى بأهله على النار ، ما فيه سُفَهاؤكم ، ويشتمل عليه حُلَماؤكم[2] ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كِتَاب الله ، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السَّرْمَدِى[3] الذى لا يزول .

« أتكونون كمن طَرَفَت[4] عينيه الدنيا، وسَدَّت مسامعه الشهوات.. واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَث الذى لم تسبقوا إليه، مِنْ تَرْككم الضعيفَ يُقْهَر ويُؤخذ ماله ،

(١) هذا الوصف توكيد للمبالغة ، كقولهم : ليلة ليلاء .

(٢) الحلماء : العقلاء .

(٣) السرمدى : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه : صرفه ورده .

هـذه المواخيرَ [١] المنصـوبة ، والضعيفةَ المسلوبة فى النهار المُبْصِر ، والعـددُ غيرُ قليل ، ألم يكن منكـم نُهَـاة [٢] تمنع الغُـوَاةَ عن دَلَجِ [٣] الليل وغارة النهار» ؟ .

« قرَّبتم القـرابةَ ، وباعـدتم الدِّينَ ! .. تعتذرون بغير العُـذر ، وتَغُضُّون على المختلس ، كلُّ امـرىء منكم يَـذُبُّ عن سيفـه ، صنيعَ مَنْ لا يخاف عاقبـةً ، ولا يرجو معادًا ، مـا أنتم بالحُلَماء ، ولقد اتبعتم السفهـاء ، فلم يزل بكُم ما تـرون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكـوا حُرَمَ [٤] الإسلام ، ثم أطـرقوا وراءكم ، كُنُـوسًا [٥] فى مَكـانِسِ الـرِّيب ، حـرامٌ علىّ الطعـامُ والشراب حتى أسَوّيها بالأرض هَدْمًا وإحراقًا » .

« إنى رأيتُ آخر هـذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلُحَ بِـهِ أوَّله : لِين فى غير ضعف ، وشِـدَّة فى غير عُنف ، وإنى أُقسِمُ بـالله لآخُـذَنَّ الوَلِىَّ بـا لمَوْلَى [٦] ، والمقيم بالظاعن ، والمُقْبِل با لمُدْبِـر ، و المُطِيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم ، حتى يَلْقِىَ الرَّجُل مِنكُم أخاهُ فيقول : « أَنْجُ سَعْدُ فَقَد هلك سُعَيْد » [٧] أو تستقيم لى قَنَاتكم » .

(١) المواخير : جمع ماخور وهو بيت الريبة .
(٢) نهاة : جمع ناهٍ ، وغواة : جمع غاو .
(٣) الدلج : السير من أول الليل .
(٤) الحُرَم : جمع حـرمة وهـى ما لا يحل انتهـاكـه ، روى الشعبى قال : لما خطـب زياد خطبتـه البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : « ما هـذا ؟ قالوا : إن البلد مفتون ، وان المرأة من أهل المصر لتأخذهـا الفتيان الفساق ، فيقال لها : نادى ثـلاثة أصوات فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع » .
(٥) كنوس : جمع كانس ، أى مستتر كجلوس جمع : جالس ، وأصله من كنس الظبى . كضرب : دخل فى كناسه (ككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكانس . الريب : مكامنها المستترة جمع مكنس كمجلس .
(٦) الولى : السيد ، والمولى هنا : العبد .
(٧) سعد وسعيـد : هما ابنا ضبـة بن أد ، خرجـا فى طلب إبل لأبيهما ، فـوجدها سعـد فردهـا ، وقتل سعيد، فكان ضبة إذا رأى سوادًا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ؟

« إن كِذْبة المِنْبَر بَلْقاءُ [١] مشهورة ، فإذا تعلَّقتم عليَّ بكـذْبة فقد حَلَّت لكم معصيتى [٢] ، فإذا سمعتموهـا منى فاغتمـزوها[٣] فيَّ .. واعلمـوا أن عندى أمثالها ، من نقُب منكم عليه فأنا ضامن لِما ذهب منه ».

« فإيـاى ودَلَجَ الليـل ، فإنى لا أوتى بمـدلج إلا سفكت دَمَـهُ ، وقـد أجلتكم فى ذلك بمقـدار مـا يأتى الخبر الكـوفـة ويـرجع إليكم ، وإيـاى ودعوَى[٤] الجاهلية ، فإنى لا أجد أحدًا دعا بها إلا قطعْت لسانه » .

« وقـد أحدثتم أحـداثًا لم تكن ، وقـد أحدثنـا لكل ذنب عقوبـة : فمن غَرَّق قومًـا غرّقناه ، ومَنْ أحرقَ قـومًا أَحرقناه ، ومن نَقَب بَيْتًـا نَقَبْنا عن قلبه ، ومن نَبَش قبرًا دفناه حيًّـا فيه ، فَكُفُّوا عنِّـى أيديكم وألسنتكم ، أَكففْ عنكم يدى ولسانى ، ولا تَظهر مـن أحد منكم ريبةٌ بخلاف[٥] ما عليـه عامَّتكم ، إلا ضَرَبْتُ عُنُقه » .

« وقد كانت بينى وبين أقوام إحنٌ [٦] فجعلت ذلك دُبْرَ [٧] أُذُنِى وتحت قدمى، فَمَن كان مِنكُم مُحسنًـا فليزدد إحسانًا ، ومن كـان منكم مسيئًا فلينزع عن إساءته » .

---

(١) من البَلَق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل فى الفَرَس إلى الفخذين (والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس) ، والفرس البلقاء مشهورة لتميزها عما سواها ببلقها .

(٢) فى تاريخ الطبرى : قال الشعبى :فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة ، ولا وعَدَنا خيرًا ولا شرًّا إلا أنفذه .

(٣) أى عدوها من عيوبى ، واغتمزه : طعن عليه .

(٤) قولهم : يا لفلان ، والغرض : مناصرة العصبية .

(٥) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٦) جمع أحنة : وهى الحقد والضغينة .

(٧) أى خلف أذنى ، وقد اقتبسها من كلام معاوية كما مَرَّ بِك .

« إنى لو علمتُ أن أحدكم قد قتله السُّلُ من بُغضى ، لم أكشف له قناعًا .. ولم أهتك له سترًا ، حتى يُبْدِىَ لى صَفْحَته [1] ، فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنِفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مُبْتَئِسٍ بقدومنا سَيُسَرُّ .. ومسرور بقدومنا سَيَبْتَئِسُ » .

أيها الناس :

« إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذَادةً [2] ، نَسُوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ونَذُود عنكم بفىء الله الذى خَوَّلنا [3] ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما وَلِينَا ، فاستوجبُوا عدلنا وَفَيْئَنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أُقَصِّر عن ثلاث » :

« لستُ محتجبًا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقًا بليلٍ ، ولاحابسًا عطاء ولا رزقًا عن إبانه [4] ، ولا مجمرًا [5] لكم بعثًا » .

« فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستكم المؤدِّبون لكم ، وكَهْفكم الذى إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تَصلحوا ، ولا تُشربوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتدَّ لذلك غيظُكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تُدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرًّا لكم » .

---

(١) أى حتى يجاهرنى بالعداوة .

(٢) جمع ذائد أى مدافع .

(٣) خولنا : ملكنا ، والفىء : ما كان شمسًا فينسخه الظل ، والخراج ، أى ندفع عنكم بظل الله ونعمته التى وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من أموال الخراج .

(٤) أى وقته وموعده .

(٥) جمر الجند : حبسهم فى أرض العدو ولم يرجعهم .

« أسأل الله أن يعين كلاً على كل ، وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فأنفِذوه على أذلاله[1] ، وايم الله إن لى فيكم لَصَرْعَى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صَرْعَاىَ » .

* * *

« فقام إليه « عبد الله بن الأهتم » فقال :

- أشْهَد - أيها الأمير - لقد أوتيتَ الحِكْمَة وفَصْل الخطاب » ..

فقال له :

- « كذبت ، ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه .. فقام الأحنف بن قيس » فقال :

- إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نُثْنى حتى نبْتَلَىَ ».

فقال له زياد :

- صدقت .. فقام « أبو بلال مِرداس[2] بن أُدَيَّة» وهو يهمس ويقول :

- أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : ﴿ وإبرَاهيمَ الَّذِى وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ .

---

(١) أى على وجوهه وطرقه جمع ذل بالكسر ، وذل الطريق . محجته ، وأمور الله جارية على إذلالها : أى مجاريها .

(٢) هو من رؤساء الخوارج .

وأنت تـزعم أنك تأخذ البرىء بـالسقيم ، والمطيع بالعـاصى ، والمُقْبل بالمُدْبِر ، فسمعها زياد فقال :

- « إنَّا لا نبلغ ما نريـد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضًا » .

* * *

* الخطب الصحية .. للأجساد البشرية :

خطبة فى القمل والبَقّ

***يقول الدكتور حسن كمال :**

- « الحمد لله الرحمن ، خَلَق الإنسان عَلَّمَهُ البَيان .. سبحانه من واقٍ لطوارئ الحدثان .. وغدرات الزمان .

وأشهد أن لا إلـه إلا الله المَلِك الدَّيَّان .. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا رسول الله سيد ولَدِ عَدْنان .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان ..

أيها الناس ، يعيش بينكم فى مساكنكم -حِقيرة كانت أو جليلة- حشرتان خطرتان هما : القمل والبق وهما سبب كثير من العلل والسقام .

وقد ظهر للطب الآن خفايا هامة تتعلق بهاتين الحشرتين وما يسببانه للإنسان خصوصًا وقت الأوبئة.

فثبت بالدليل القاطع أن القمل والبق ينقلان الحميات كالتيفوس والحمى الراجعة وحمى الخنادق .. كذا بعض الأمراض الجلدية .

ولقد بلغت الوفيات من الأمراض الثلاثة الأولى فى بعض الأحيان عشرات الآلاف .. فكانت الأوبئة تحصد الأرواح حصدًا ، وتُيَتِّم الأطفال تيتيمًا .. وتُرمِّل النساء تَرمُّلاً .

أيها المسلمون .. اعلموا أن القمل والبقَّ من الحشرات الطفيلية التى تعيش على دم الإنسان .. ولا يمكنها أن تعيش على غذاءٍ غيره .. وتبيض الواحدة منها عدة بيضات فى بضعة أيام .

وللقمل نوع يعيش على الرأس ، وآخر يعيش على الجسم .. وثالث يعيش على العانة !..

وهناك نوع من القمل يُحْدِث الجرب .

أما البقُّ فالنوع المعتاد منه يعيش على الجسم عمومًا ..

عباد الله .. هذه الحشرات لا تتولد من القذارة كما يظنه السواد الأعظم منكم .. بل هى حيوانات تنتقل من شخص لآخر تفرخ وتتناسل بنظام مخصوص .

أما القذارة فتساعد كثيرًا على نموها ، وحفظ نسلها .

وقد اتضح الآن أن القمل والبق ينتقلان بين الأشخاص بواسطة الملامسة واستعمال الفراش أو الملابس الموبوءة بهما .

وظهر أيضًا أن القمل ينتقل بالريح وبالحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب ..

أيها الناس .. اعلموا أن القمل والبق ينقلان الأمراض بامتصاص دم المصاب .. فتمكث جراثيم المرض داخل الحشرة مدة بعدها يمكن نقل المرض إلى السليم بواسطة إفراز الحشرة الموبوءة .

فاحفظوا يا إخوانى أنفسكم من شر هاتين الحشرتين ، وذلك بنظافة

أجسامكم .. وعـدم الاختلاط بالأشخاص الملـوثين بهما .. وتغيير ملابسكم في فترات قصيرة بعد غَلْيها ووضعها فى صندوق مغلـق مرشوش فيه مسحوق النفتالين .

أما تطهير الأشخاص من هـذه الحشرات فينحصر فى قص شعر الرأس والجسم .. ودهن الجسم عمومًا بالغاز .. وغَلْى الملابس فى الماء قبل غسلها .

هذه يا قـوم أهم ما يهمكم معرفته عن هـاتين الحشرتين .. فاجتهدوا فى التخلص منهما جهد الطاقة .. فإن فى ذلك نفعكم كما فيه حفظ كرامتكم .

جـاء فى الصحيحين عن« كعب بن عجـرة » قـال : كـان بى أذى من رأسى فحملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلـم والقمل يتناثر على وجهى فقال :

- ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك ما أرى .

وفى رواية .. فأمَرهُ أن يحلق رأسه » .

* * *

خطبة فى البرغوث والطاعون

- « الحمد لله بديع السموات .. منشىء الكائنات .. مزيل الآفات .. والصلاة والسلام على سيد المخلوقات .

وأشهد أن لا إله إلا الله العليم الحكيم .. وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله بالمؤمنين رءوف رحيم .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا ».

(أما بعد) : فاعلموا -هداكم الله- أن الحشرات كثيرًا ما تكون سببًا فى انتشار الأمراض بين الخاص والعام .. ووسيلة من وسائل الفتك ببنى الإنسان ، .. وهى تكثر عادة مع قذارة السكن والملبس .

ومن هذه الحشرات : « القمل » ، و « البق » ، و « الذباب » و«البرغوث».

وسأحدثكم اليوم عن « البرغوث » لتدركوا أن هذا الحيوان على صغره يفتك أحيانًا بالخلق فتكًا ذريعًا .. فتتأكدون بعد ذلك أن مُعظم النار مِنْ مُستصغر الشرر .

عباد الله : البرغوث حشرة لها عدة أنواع تعيش على جسم الإنسان والحيوانات والطيور .

والأنثى تبيض بيضاتها وتفقس فى أسبوع تقريبًا .

ويجد البرغوث صعوبة على المشى فوق الأسطح الملساء .. لذا نراه يتحرك بالقفز .. وهو يكره ضوء الشمس ، ويفضل المعيشة فى الأجزاء الدافئة .

أيها الناس : ينقل البرغوث مرض (الطاعون) .. وذلك بلدغه شخصًا مصابًا بالطاعون ، ثم لدغه شخصًا آخر سليمًا .

و « الطاعون » من أشد الأمراض خطرًا وفتكًا بالناس .. وهو على ثلاثة أنواع : نوع مصحوب بدمامل .. ونوع مصحوب ببصاق دموى ..ونوع مصحوب بتسمم دموى .. والوفيات فى النوع الأول كثيرة .. وفى الثانى أكثر وفى الثالث كاملة .

أيها المسلمون .. يحصل هذا الوباء والعياذ بالله تعالى فى بعض قُرى هذا القُطر أحيانًا .. فتقوم وزارة الصحة بإجرائها لإيقاف انتشاره وذلك بمنع وصول « البراغيث » من المرضى إلى الأصحاء وعزل المرضى تمامًا.

من ذلك يتضح لكم يا قوم ، ضرورة التخلص من البراغيث كى تأمنوا شرها .. ويتلخص ذلك فى المحافظة على نظافة الملابس والمنازل بكنسها وغسل أرضيتها جيدًا ، وسَدِّ جميع شقوقها منعًا لتراكم القاذورات عليها .. ومنع القطط والكلاب من دخولها وإبادة الفئران لأنها تنقل البراغيث إلى لإنسان .. وإبعاد الاصطبلات عن المنازل .. لأن البرغوث يتولد فيها بكثرة .. ووضع كمية من مسحوق النفتالين داخل دواليب الملابس .. وعدم وضع السرير ملاصقًا للحائط ، أو ترك الغطاء يتدلَّى إلى الأرض .

(الحديث) :

قال رسول الله ﷺ :

- « الطـاعـون رجز أُرسل على طـائفـة من بنى إسرائيل وعلى من كـان قبلكم .. فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تـدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه » .

أيها المسلمون : هـذا الحديث هـو منتهى ما وصل إليـه الطِّبُّ .. فهـو ينهاكم عن مخالطة المصـابين بالطاعون حـرصًا على أنفسكم .. وعن مغادرة المدن الموبوءة إذا كنتم بها ، حِـرصًا على سلامـة الغير من عدواكم .. وأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك .

* * *

خطبة فى البعوض

- « الحمد لله خالق الكون بعظيم قدرته .. مُدَبِّر العالم بثاقب حكمته سبحانه من حكيم عليم .. بعباده رءوف رحيم .

وأشهد أن لا إلـه إلا الله المَلِكُ الديَّان .. وأشهد أن محمدًا رسول الله سيد ولد عدنان .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان ..

(عباد الله) : خَلَق الله لنا العقل لنحكم به على ما ينفعنا وما يضرنا .. وأعطى لنا البصر لنميز به سبيل الخير من الشر .. ووهب لنا السمع لنستمع إلى ما فيه المصلحة فنتبعه ، وإلى ما فيه الفساد فنجتنبه .. ونهانا عن استعمال هذه الحواس فى طرق الشر والفساد ، وجعل العقل رقيبًا على ذلك .

قال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ إن السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولَئكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[1] .

أيها الناس .. أظهرت لنا المباحث الطبيَّة خفايا هامة ومعلومات قيمة لها علاقة بالحشرة الصغيرة المعروفة بالبعوضة (الناموسة) .

تلك الحشرة المنتشرة كثيرًا فى كل جهات القُطر من شاطىء البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى أسوان جنوبًا .

(عباد الله) : تبيض البعوضة فوق سطح المياه الراكدة كالبِرَك والآبار

(١) سورة الإسراء - الآية ٣٦ .

والأوعية التى تحتوى على مياه لا تتغير .. وبعد يومين أو ثلاثة تخرج من البيضات عَلَقات وهذه تتحول إلى بعوض (ناموس) .

وتكفى مدة ثمانية أيام فى جو القطر المصرى لتكون البعوض فيه .. وتبيض (الناموسة) عِدَّةَ مرات مُدة حياتها .. وتضع كل مرة مئات من البيضات .. زِدْ عَلَى ذلك أن الأُنثى تبيض بعد تمام تكوينها بعشرة أيام .. فتبلغ ذرية (الناموسة) الواحدة فى بضعة أشهر آلافًا مؤلفة .

اعلموا - رحمكم الله - أن (الناموس) يُصاب بالأمراض كالإنسان ، وينقلها إليه .

أما كيفية نقل العدوى فهى أن « الناموسة » تلدغ شخصًا مصابًا بالمرض ، ثم تلدغ شخصًا سليمًا ، فيصاب بنفس المرض .

بهذه الطريقة -أيها المسلمون -تنتقل حمى الملاريا ، والدنج، والحمى الصفراوية ، وداء الفيل .. وهى أمراض كما تعلمون فتاكة وخطرة .

أيها الناس : احفظوا أنفسكم ونَسْلَكُم من هذه المضار والأخطار.. ابذلوا جهدكم فى عدم تمكين البعوض (الناموس) من دخول منازلكم بتغطية النوافذ بسلك أو قماش رفيع .

ناموا داخل (نموسية) .. واجعلوا أطرافها تحت الفراش بإحكام وجِّهوا غايتكم إلى إعدام جميع الناموس الذى يدخل منازلكم .

لا تتركوا مِياهًا راكدة فى براميل أو أَزْيار أو أوانٍ أخرى بدون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع .

وإذا أُصبتم بقشعريرة أو حُمَّى فاعرضوا أنفسكم على الطبيب فى الحال

هـذه باختصـار- أيها المسلمـون - طُرق الـوقايـة من أخطـار (النامـوس) فاستمعوا لها واتبعوها .

قال تعالى :

- ﴿ ولا تَكُونوا كالَّذِينَ قالوا سَمِعْنَا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ .

« الأنفال : ٢١ ».

وقال أيضًا :

- ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُم اللهُ وَأولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ .

« الزُّمَرْ : ١٧ ، ١٨ » .

* الحديث :

قال رسول الله ﷺ .

- «الدِّين النَّصِيحَـة .. الدِّين النَّصِيحَة ، الـدِّين النَّصِيحَة » . قيل : لِمَنْ يا رسول الله ؟

قال : « لله وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّة المُسْلِمين وَعَامَّتِهِم » .

* * *

خطبة فى الذباب

- « الحمد لله الذى لم يتخذ ولدًا ، ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرا .

والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين الذى أُرْسِلَ للناس بشيرًا ونذيرًا .. وداعيًا إلى الله بإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنيرًا .

وأشهد أن لا إلـه إلا الله المَلِكُ السلام .. وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الهادى إلى دِينِ الإسلام ».

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه البَرَرَة الكرام ..

أما بعد .. فسأحدِّثكم اليوم عن الحشرة المنتشرة فى كل منزل ، وهى تعد بالملايين ، وتسبب لنا كثيرًا من العِلَل والسقام .. تلك هى الذبابة . هذه الحشرة الصغيرة تحصد أرواحنا حصدًا بسبب الأمراض الناجمة عنها ، فضلا عن كونها غير مألوفة ولا مُطاقة .

اعلموا - هداكم الله - أن الذبابة تبيض فى المرة الواحدة من مائة إلى مائة وخمسين بيضة تعيش فى أكوام الفَضَلاتِ المنزلية (الزِّبالة) وأكوام السِّباخ والقذر المكشوف .

وبعد أسبوع -تقريبًا- يخرج من هذه البيضات الذباب العادى .. والذبابة الواحدة تعيش نحو شهر واحد .. وعليه فتكون ذرية الذبابة الواحدة عدة ملايين فى وقت قصير ، فإذا لم يُمنع نمو الذبابة من أول الأمر ؛ يصبح من الصعب قتل الملايين التى تَلِدُها هى وذريتها .

(**عباد الله**) : ينقل الذباب أمراضًا كثيرة كـالحُمَّى التيفودية ، والكوليرا، والرمد الصديدى ، وإسهال الأطفال ، والدوسنتاريا .. وغير ذلك.

أمـا كيفيـة نقلـه لهذه الأمـراض .. فهى أن الـذبـابـة تقع على مـواضع المرض، أو القذارة الموبوءة ، ثم تنتقل إلى كوبة الماء أو اللبن أو الغذاء فتنقل إليه جراثيم المرض بأرجلها وأجزاء جسمها .

وثبت أيضًا أن الذبـابة تنقل عدوى الأمراض أيضًا فى بُـرازها وقيئها .. **أيها المسلمـــون** : اتقـوا شَرَّ الـــذبـاب بتنظيف أمكنتكم .. وعـــدم تنـاول المشروبات والمأكولات المعَـرَّضَة له .. وتغطية جميع الأطعمـة بغطاء محكم .. وعدم السماح للذبـاب بالاقتراب من أى مريض بالمنزل ، ووضع الـزبالة فى إناء مغطى غير مكشوف ، وتغطية النـوافذ والأبواب بسلك رفيع أو شبكة فى الأمـاكن التى يكثـر فيهـا الذبـاب ، واستعمال المِنَشَّـة ، ومنع الـذبـاب من الاقتراب من الأطفال .. واستعمال مصائد الذباب الخاصة .

أيها المسلمون .. قد أَبَنَّا لكُم مضارّ الـذباب ، وأوضحنا لكم أنه يسبب كثيرًا من الأمراض المهلكة ، والله تعالى يـأمركم أن تحاربوا أسباب المرض وأن تتقوا ما يَضُرُّ أبدانكم ، فعليكم باتبـاع النصائح التى يقرُّها دينكم الحنيف ؛ تكونوا من الفائزين .

قال رسول الله ﷺ :

- **« إن الرجل لا يكون مؤمِنًا حتى يكـون قلبه مع لسانه سواء ، ويكون لسانه مع قلبه سواء ، ولا يخالف قوله عمله ، ويأمن جاره بوائقه »** .

* * *

خُطَب مِنْ أرْتُجّ (*) عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

* روى « الجاحظُ » قال : صَعِدَ « عثمان بن عفان » رضى الله تعالى عنه المنبر، فأُرْتج عليه فقال :

- « إن « أبا بكر » ، و « عمر » كانا يعدَّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب » .

* * *

* وروى « ابن عبد ربه » قال : أول خطبة خطبها « عثمان بن عفان » أرْتج عليه ، فقال :

- « أيها الناس : إن أول كل مركَبٍ صعب ، وإن أَعِش تأتِكم الخطبُ على وجهها ، وسيجعل الله بعد عُسرٍ يُسْرًا إن شاء الله » .

* * *

* ولما قَدِمَ « يزيد بن أبى سُفيان » الشام واليًا عليها لأبى بكر ، خَطَبَ الناس فأرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :

(*) أرْتَجَهُ : أوثق إغلاقه .. وأرْتِجَ على القارئ ، على مالم يُسَمَّ فاعله ، إذا لم يقدر على القراءة ، كأنه أُطبِقَ عليه كما يُرْتَجُ الباب .. كذا فى اللسان .

- « يَأهل الشـام ، عسى الله أن يجعل من بعد عُسرٍ يُسرًا ، ومن بَعْـدِ عَيٍّ بيانًا ، وأنتم إلى إمام فاعل[١] ، أحوج منكم إلى إمام قائل[٢] » .

ثم نزل ، فبلغ ذلك « عمرو بن العاص » فاستحسنه .

* * *

* وكان « يـزيد بن المُهَلَّب » (٥٣ هـ - ١٠٢ هـ) وَلَّى ثـابِتَ قُطْنَة[٣] بعض قُرى خُراسان[٤] فلما صعد المنبر يوم الجمعة ، قال :

« الحمد لله » ..

ثم أرْتِج عليه ، فنزل وهو يقول :

فإلَّا أكُـنْ فيكم خطيبًـا فـإننى * بسيفى إذا جَـدَّ الـوَغَى لَخَطِيبُ

فقيل له :

لو قلتها فوق المنبر ، لكنت أخطبَ الناس .

* * *

(١) فى عيون الأخبار : « إمام عادل » .

(٢) وفى أمالى السيـد المرتضى أن هذا القـول يروى «لعثمان بن عفـان » ، وفى روايتها : « إمـام فعال » و«إمام قوال » بصيغة المبالغة ، وفى الأغانى أنـه يروى لثابت قطنة ، وفيه : « أمير فعال » و « أمير قوال » .

(٣) هـو « ثابت بـن كعب » ، ولقب قطنة لأن سهمًا أصـابـه فى إحدى عينيـه ، فـذهب بها فى بعض حروب الترك ، فكـان يجعل عليها قطنة ، وهو شـاعر فارس شجـاع من شعراء الدولة الأمـوية ، وكان فى صحابـة « يزيد بن المهلب » ، وكان يـوليه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيحمد فيهـا مكانه لكفايته وشجاعته .. وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة فى الأرجاء.. (توفى ١١٠هـ-٧٢٨م)

(٤) وفى رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفى رواية الطبرى :

« فخطب الناس فحصر فقال « من يطع الله ورسولـه فقد ضل » .وارتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل من المنبر قال البيت المذكور .

* وخطب « معاوية بن أبى سفيان » (٢٠ ق.هـ - ٦٠هـ) لما وَلِيَ ، فَحَصر فقال :

- « أيها الناس : إنى كنتُ أعددتُ مقالاً أقوم به فيكم ، فَحُجِبْتُ عنه ، فإن الله يَحُول بين المَرْءِ وقلبه ، كما قال فى كتابه[1] ، وأنتم إلى إمام عدْل أَحْوَجُ منكم إلى إمام خطيب ، وإنى آمُرُكم بما أمر الله به ورسولُه .. وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسولُه ، وأستغفر الله لى ولكم » .

* * *

* وصَعِدَ « خالد بن عبد الله القَسْرِى » (٦٦-١٢٦هـ) يومًا المِنْبر بالبصرة ليخطُب فأرْتج عليه ، فقال :

- « أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام يَجىءأحيانًا ، وَيَعْزُب أحيانًا ، فَيَسيح عند مَجيئه سَيْبُه[2] ، ويَعِزُّ عند عُزُوبه طَلَبُهُ ، ولربما كُوبر فأبَى[3] وعُولج فنأى ، فالتأَتِّى[4] لمجيِّه ، خير من التعاطى لأبِيِّه ، وتَركهُ عند تنكُّره أفضل من طلبه عند تعذُّره ، وقد يختلج[5] من الجرىء جنانُهُ وينقطع من

---

(١) الآية الكريمة : ﴿ واعْلَمُوا أنَّ الله يَحُول بَيْنَ المرءِ وَقَلْبِهِ وأنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .. «الأنفال - ٢٤» .

(٢) السيب : العطاء ، وفى رواية : « فيتسبب عند مجيئه سببه » .

(٣) وفى رواية : « فعسا » أى اشتد وصعب .

(٤) تأتى له : ترفق ، وفى رواية : « فالتأنى » بالنون .

(٥) يضطرب .

الذَّرِب[1] لسـانُه ، فـلا يُبْطِره ذلك ولا يَكسِره ، وسأعـود فأقـول : إن شـاء الله » .

ثم نزل ، فما رُئِى حَصِرٌ أبلغ منه .

* * *

*** وصعد « أبو العَنْبَس » مِنْبرًا من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :**

-« أما بعد » ، فأرْتجَ عليه ، فقال :

-أتدرون ما أريدُ أن أقول لكم ؟

قالوا : **لا** .

قال : **فما ينفعنى ما أريدُ أن أقول لكم** .

ثم نزل ، فلما كان فى الجمعة الثانية ، صعد المنبر وقال :

-« أما بعد » ..

أرْتج عليه ، فقال :

-أتدرون ما أريدُ أن أقول لكم ؟

قالوا : **نعم** .

---

(١) الحاد اللسان : وفى رواية : « ويرتج على البليغ لسانه » ، وفى أخرى : « وقد يرتج على اللسن لسانه ، ولا ينظره القول إذا اتسع ولا يتيسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، فخليق أن تعن له النهوة » وفى أخرى : « وقد يتعاصى على الذرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد إذا اتسع ، وأولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحسانه وسأعود وأقول » .

قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما عَلِمْتُمْ ؟

ثم نزل ، فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال :

-« أما بعد » .

فأُرْتُج عليه ، قال :

-أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟

قالوا :

-بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى .

قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى !! .

ثم نزل .

* * *

* وولى « اليمامة » رجل من بنى هاشم يُعرف « بِالدَّنْدَان » ، فلما صَعدَ المنبر أرتُج عليه ، فقال :

حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاءها ، إنى قد أمرت طائفى بالليل أن لا يرى أحدًا إلا أتانى به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .

* * *

* وخطب « عبد الله بن عامر » (٤هـ - ٥٩هـ) بالبصرة فى يوم أضحى ، فأرتُج عليه ، فمكث ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عِيًّا ولُؤمًا ، من أخذ شاةً من السوق فهى له ، وثمنُها علىَّ » .

* * *

* قال « الجاحظ » : ولما حَصرَ « عبد الله بن عامر » على منبر البصرة ، شقَّ ذلك عليه ، فقال له «زياد» :

« أيها الأمير ، إنك إن أقمتَ عامَّة مَنْ تَرَى ، أصابه أكثرُ مما أصابك » .

* * *

* وكان « سعيد بن بَحْدَل الكَلْبِى » (توفى ١٢٧هـ - ٧٤٥م) على قِنَّسْرِين ، [1] فوثب عليه « زُفَر بن الحارث » ، فأخرجه منها ، وبايع لابن الزبير ، فلما قعد « زُفَر» على المنبر قال :

-« الحمد لله الذى أقعدنى مقعد الغادر الفاجر » .

وحَصرَ ، فضحك الناس من قوله .

* * *

* وصعد « عَدِىُّ بن أَرْطَاة [2] المنبر ، فلما رأى جماعة الناس حَصِرَ فقال:

-« الحمد لله الذى يُطْعِم هؤلاء ويُسقيهم » .

* * *

---

(١) كورة بالشام .

(٢) كان عامل « يزيد بن عبد الملك » على البصرة .. توفى (١٠٢هـ - ٧٢٠م) .

* وصعد « رَوْح بن حاتم » (ت ١٧٤هـ - ٧٩١م) المنبر فلما رآهم شَفَنُوا[1] أبصارهم ، وفتحوا أسماعهم نحوه ، حَصر فقال :

-« نكِّسُوا رءوسكم ، وغُضُّوا أبصارَكم ، فإن المنبر مَرْكَبٌ صعب ، وإذا يَسَّرَ الله فَتْحَ قُفْلٍ تيَسَّر » .

* * *

* وكان « عبد ربه اليَشْكُرِيُّ » عاملاً « لعيسى بن موسى »[2] على المدائن، فصعد المنبر ، فحمد الله وارتج عليه ، فسكت ثم قال :

« والله إنى لأكون فى بيتى ، فتجىء على لسانى ألف كلمة ، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدرى ، ولقد كنتُ وما فى الأيام يوم أَحَبُّ إلىَّ من يوم الجمعة ، فصرتُ وما فى الأيام يومٌ أبغضُ إلىَّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

* * *

* وارْتج عَلَى « مَعْن بن زائِدة » (ت ١٥١هـ - ٧٦٨م) ، فضرب المنبر برجله ، ثم قال :

-« فَتى حُرُوب ، لا فتَى منابر » .

* * *

---

(١) شفنة كضربة وعلمه شفونا : نظر إليه بمؤخر عينيه ، أورفع طرفه ناظرًا إليه كالمتعجب أو كالكاره.

(٢) هو « عيسى بن موسى ابن أخى المنصور » وكان أمير الكوفة .

* وحدَّث « عيسى بن عمر » المتوفى (١٤٩هـ - ٧٦٦م) قال :

- خطب أميرٌ مـرةً فانقطع فخجل ، فبعث إلى قـوم من القبـائل عابـوا ذلك ولَفَّهم[1] ، وفيهم يَرْبُوعىٌّ جَلْد ، فقال :

-« اخطبوا » ..

فقام واحد فَمَرَّ فى الخطبة ، حتى إذا بلغ « أما بعدُ » قال :

-أما بعد ، أما بعد ..

ولم يَدْرِ ما يقول ، ثم قال :

-فإن امرأتى طالِقٌ ثلاثًا لم أُرِدْ أن أُجَمِّع[2] اليوم فمنعتنى .

* * *

* وخطب آخر ، فلما بلغ « أما بعد » بقى ، ونظر فإذا إنسان ينظر إليه فقال :

-« لعنك الله تُرى ما أنا فيه ، وتلمحُنى ببصرك أيضًا .

وقال أحدهم :

-« رأيتُ القَراقِرَ[3] من السفن تجرى بينى وبين الناس » ..

وصَعد « اليربوعىّ » فخطب فقال :

-« أما بعد » فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقمتمونى ، أقول ماذا؟ ».

---

(١) لفَّهم : جمعهم .

(٢) جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ،كما يقال : أى شهدوا العيد .

(٣) القراقر : جمع قرقور كعصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

فقال بعضهم :

-قل فى الزيت .

قال : « الزيت مبارك[1] ، فكلوا منه وادَّهِنُوا » .

قال : فهو قول الشُّطَّار[2] اليوم ، إذا قيل لِمَ فعلت ذا ؟ فقل فى شأن الزيت، وفى حال الزيت .

* * *

* وروَى « الجاحظ » أنه قيل لرجل من الوجوه :

- قُم فاصْعَدِ المنبر وتكلم .

فلما صَعد حَصرَ وقال :

- « الحمد لله الذى يرزق هؤلاء .

وبقى ساكتًا .. فأنزلوه .

* * *

وصعد آخر ، فلما استوى قائمًا ، وقابل بوجهه وجوهَ الناس ، وقعت عينُه على صَلعة[3] رجل فقال :

-« اللهم الْعَنْ هذه الصَّلعة » .

* * *

---

(١) يشير إلى الآية الكريمة : ﴿ الله نُورُ السَّمَواتِ وَ الأَرْض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ درِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرةٍ مبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نورٌ عَلَى نُورٍ ...﴾ . « سورة النور - الآية ٣٥ ».

(٢) الشطار جمع شاطر : وهو من أعيا أهله خبثًا ، والمراد به هنا أهل الدعارة وأصحاب النوادر والتنكيت والفكاهات .

(٣) الصلعة : وضع الصلع .

* وقيل « لوازع اليَشْكُرِيِّ » :

-قُمْ فاصعد المنبر وتكلم .

فلما رأى جمع الناس قال :

-« لولا أن امرأتى لعنها الله حَمَلَتْنى على إتيان الجمعة اليوم ما جَمَّعْتُ .. وأنا أُشْهِدُكم أنها منى طالق ثلاثًا » .

* * *

* ودُعِيَ « أيوب بن القِرِّيَّة » (ت ٨٤هـ - ٧٠٣م) لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال :

-« قد طال السَّمَرُ ، وسَقَط القمر ، واشتد المطر ، فماذا يُنْتَظَر ؟ » .

فأجابه فتى من عبد القَيْس فقال :

-قد طال الأرَقُ ، وسَقَطَ الشَّفَقُ ، وكثر اللَّثَقُ [١]، فلينْطِق مَنْ نَطَق » .

* * *

* وجاء فى « أمالى السيد المرتضى » :

- روى أن بعض خلفاء بنى العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب .. فسقطت على وجهه ذُبابة ، فطردها ، فرجَعت ، فَحصَر وأرْتجَّ عليه ، فقال :

---

(١) لثق يومًا كفرح : ركدت ريحه وكثر نداه .

-« أعوذ بالله السَّمِيعِ العَلِيم .. « يا أَيُّهَا النـاس ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ · إِنَّ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُـوا ذُبَابًـا وَلَو اجْتَمَعُـوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ[1] مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ » .

ثم نزل ، فاستُحسن ذلك منه .

* * *

* وروى أن رجلاً صَعدَ المنبر أيام « يزيد بن معاوية » (٢٥هـ-٦٤هـ) وكان واليًا على قوم فقال لهم :

-«أيها الناس:إنى لم أكُن فارسًا طَبًّا[2] بهذا القرآن، فإن معى من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خَلَفًا منه، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال:

وما عاجلاتُ الطير يُدْنين للفتى * رَشَادًا ، ولا من رَيْثِهِن يخيبُ[3]

ورُبَّ أُمـــورٍ لا تَضيرك ضَيْرَةً * ولِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِن وَجيبُ[4]

ولا خيرَ فيمن لا يـوطِّن نَفْسَـهُ * على نـائبات الـدهر حين تنـوبُ

وفى الشك تفـريطٌ وفى الحزم قـوةٌ * ويُخْطِى الفتى فى حَدْسِهِ ويُصيبُ[5]

(١) وكانوا يطلُون أصنامهم بالطيب والزعفران ، ويغلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله .

(٢) ماهرًا حاذقًا .

(٣) كانت العـرب تتيمن بالطير السـانح ، وهو مـا ولاك ميامنـه ، بأن يمر من ميـاسرك إلى ميامنك ، وتتشاءم بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رميه إلا بأن تنحرف له ، وربما كان أحـدهم يهيج الطير ليطير ، فيعتمدها ، وعاجلات الطير هى أن يخرج الإنسان من منـزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فما مرَّ به أول ما يبصر فهو عـاجلات الطير وإن أبطأت عنه وإنتظرها فقد راثت أى أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثانى مذموم .

(٤) خشيه خَشْيَةً ومخشاة : خافه ، ووجب القلب وجيبًا : خفق واضطرب .

(٥) الحدس : الظن .. والتخمين ، والأبيات « لضابىء بن الحارث البرجى » .

فقال رجل من « كلب » :

-إن هـذا المنبر لم يُنْصب للشعـر ، بل ليُحْمَـد الله تعـالى ، ويُصَلَّى على النبى وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقرآن .

فقال :

-أما لو أنشدتكم شعر رجل من كلب لَسَرَّكم .

فكُتِبَ إلى « يزيد » بذلك فعَزَلَهُ .

وقال :

-قد كنتُ أراكَ جـاهلاً أحمق ، ولم أحسـب أن الحُمْـق يبلـغ بك إلى هذا المبلغ .

فقال له :

أحمق منِّى مَنْ وَلَّانى .

* * *

* وخَطَب يومًا فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى :

-« إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريبٌ » .

قالوا له :

-إن هذا ليس من كتاب الله .

قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .

* * *

* وخَطَب « وكيع بن أبى سُودٍ » بخُراسان فقال :

- « إن الله خَلَق السموات والأرض فى ستة أشهر » !! .

فقيل له :

-إنها ستة أيام .

فقال : « وأبيك لقد قُلْتها وأنى لأستقلُّها » !! .

* * *

* وصعد المنبر فقال :

« إن ربيعة لم تزل غِضابًا على الله مُذْ بَعَث نبيَّه مِنْ مُضَر ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشْفٌ[1] ، فإذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مَنَاخِرها ، فإن فَرَسًا لم يُطْعَن فى مَنْخَره ، إلا كان أَشَدَّ على فارسه من عدوّه[2] » .

* * *

* وضربت « بنو مازن» « الحُتَات بن يزيد المُجاشِعِى » ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبٌ أبو الفرزدق فقال :

- « يا قوم كونوا كما قال الله : « لا يعجز القوم إذا تعاونوا » .

* * *

---

(١)كشف جمع أكشف : وهو من ينهزم فى الحرب ، ومن لا ترسى معه فى الحرب ، ومن لا بيضة على رأسه .

(٢) وروى الطبرى أن « عبد الله بن خازم » قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا لقيتم الخيل فاطعنوها فى مناخرها ، فإنه لن يطعن فرس فى نخرته إلا أدبر أو رمى بصاحبه » (الطبرى - ٤٦:٧) .

* وخطب « عدى بن زياد الإيادىّ » ، فقال :

-« أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « ما أُريكُم إلا ما أرى ، وما أَهديكُم إلا سبيلَ الرشاد[١] » .

فقالوا له :

-« ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فِرعون » .

قال : « من قاله فقد أحسن » .

* * *

* وروى « الطبرى » أن « عبد الله بن الزبير » (المتوفى عام ٢١٩هـ - ٨٣٤ م)كان وَلَّى أخاه عُبيدة عَلَى المدينة ، ثم نزعهُ عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم :

« قد رأيتم ما صُنِع[٢] بقوم فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مُقَوَّم الناقة » .. وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا لهو التكلف .

* * *

* وروى « الجاحظ » و « ابن عبد ربه » هذا الخبر فقالا : خطب وَالِى اليمامة[٣] ، فقال :

(١)الآية الكريمة : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى .... ﴾ .
(٢) يشير إلى ثمود قوم صالح عليه السلام .
(١) لعلها المدينة .

- إن الله لا يُقَارُّ [1] عبادَه على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم » .

فسمى مقوِّم ناقة الله .

* * *

* وخطب « قَبيصَةُ » وهو خليفة أبيه[2] على خراسان ، وأتاه كتابه فقال:

- « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهلٌ لأن أطيعَهُ ، وهو أبى وأكبر منى».

* * *

* ودعى « مُصْعَب بن حيَّان « ليخطب فى نكاح فَحصر فقال :

-« لَقِّنُوا موتاكم شهادة أن لا إلـه إلا الله » .

فقالت أم الجارية :

-« عجَّل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ » .

* * *

* وخطب « قُتَيْبَة بن مُسْلِم » (٤٩هـ - ٩٦هـ) على مِنبر خُراسان ، فسقط القضيب من يده .. فتفاءل له عدوه بالشر ، واغتمَّ صديقه ، فعرف ذلك قتيبة ، فأخذه وقال :

- « ليس الأمر على ما ظن العدو ، وخاف الصديق[3] ، ولكنه

---

(١) أى لا يقرهم .

(٢) هو « المهلب بن أبى صفرة » ، و كان واليًا على خراسان .

(٣) وفى رواية : « كما ساء الصديق ، وسر العدو » .

كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النَّوَى * كما قَرَّ عينًا بالإياب المُسافر[1]

* * *

* وتكلم « صعصعة » (توفى عام ٥٦هـ - ٦٧٦م) عند «معاوية»فَعَرِقَ، فقال «معاوية» :

- « بَهَرك[2] القول ..

فقال « صعصعة »:

- إن الجياد نَضَّاحَةٌ بالماء .

* * *

* وشخص « يزيد بن عمر بن هُبَيْرة » (٨٧هـ - ١٣٢هـ) إلى « هشام ابن عبد الملك » (٧١هـ - ١٢٥هـ) فتكلم فقال هشام :

- « ما مات من خَلَّف مثل هذا » ! .

فقال « الأبرش الكلبى » :

- ليس هناك ، أما تراه يَرْشَح جَبينُه لضيق صدره.

قال « يزيد » :

- ما لذلكِ رَشَح ، ولكن لجلوسك فى هذا الموضع !! .

* * *

(١) النوى : الغربة البعيدة .

(٢) أى غلبك .

خطبة طارق بن زياد المنذرة
لهم .. بعد أن أحرق سفنهم

لما دانت بلاد المغرب« لموسى بن نصير » - وكان واليًا عليها مِنْ قِبَل «الوليد بن عبد الملك » - طمح بصره إلى فتح بلاد الأندلس ، فبعث مولاه «طارق بن زياد » (٥٠ - ١٠٢ هـ) على جيش جُلُّه من البربر سنة ٩٢هـ فَعَبَر بِهم البحر ، ونَما خَبَرُه إلى لُذَرِيق ملك القُوط ، فأقبل لمحاربته بجيش جَرَّار .

وخاف « طارق » أن يستحوذ الرعب على جنده لِقِلَّتِهم ، فأحرق السُّفُن التى أَقلَّتهم ، حتى يقطع من قلوبهم كل أمل فى العودة ، وقام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حَثَّهم على الجهاد ، ورغّبهم فى الشهادة فقال:

- « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق[1] والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مآدب[2] اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه .. وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لا وَزَرَ[3] لكم إلا سيوفكم .. ولا أقوات إلاما تستخلصونه من أيدى عدوكم » .

« وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمرًا ، ذَهَبَت

(١) أى الصدق فى القتال ، والصدق : الشدة ، يقال صدقه للقتال .
(٢) جمع مأدبة بالفتح والضم : وهى طعام صنع لدعوة أو عرس .
(٣) لا ملجأ .

ريحُكم ، وتعوَّضَت القلوب من رُعبها منكم ، الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم ، بِمُنَاجزة[1] هذا الطاغية » .

« فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة[2] ، ولاحَمَلْتُكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أربأ[3] فيها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشقِّ قليلاً ، استمتعتم بالأرْفَهِ الألذِّ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فيما حظُّكم فيه أوفر من حظِّى » .

« وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحُور[4] الحِسَان ، من بنات اليونان ، الرافلات[5] فى الدُّرِّ والمَرْجان ، والحُلل المنسوجة بالعِقْيان[6] المقصورات[7] فى قصور الملوك ذوى التيجان ، وقد انتخبكم «الوليد بن عبد الملك » أمير المؤمنين من الأبطال عُزْبانًا[8] ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا[9] وأختانًا[10] ، ثقة منه بارتياحكم للطِّعان، وإسماحكم[11] بمجالدة الأبطال والفرسان،ليكون حظَّه منكم ثواب الله على

---

(١) أى مبارزته .

(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

(٣) ربأ بنفسه : علا بها وارتفع ، أى أتنحى عن مشاركتكم .

(٤) جمع حوراء ، من الحَوَر بالتحريك : وهو شدة سواد العين وبياضها .

(٥) رفلت : جرت ذيلها وتبخترت ، أو خطرت بيدها .

(٦) الذهب .

(٧) المخبوءات .

(٨) جمع عزيب . والعزيب والعزب والأعزب : من لا زوجة له .

(٩) جمع صهر : كحمل ، وهو زوج بنت الرجل وزوج أخته .

(١٠) جمع ختن كسبب ، وهو الصهر ، أو كل من كان قِبَل المرأة كالأب والأخ .

(١١) سمح وأسمح : جاد وكرم

إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصًا لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وَلِيُّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكرًا في الداريْن » .

« واعلموا أني أول مُجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لُذَرِيق ، فقاتله إن شاء الله ، فاحملوا معي فإن هلكت بعده ، فقد كفيتم أمره ، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وإن هلكْتُ قبل وصولي إليه ، فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يُخْذَلون » .

* * *

(نفح الطيب ١ : ١١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٣٥) .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قُتِلَ الوليد بن يزيد

لما قُتِل « الوليد بن يزيد » « قام » « يزيد » (٨٦ - ١٣٦ هـ) خطيبًا فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد .. أيها الناس إنى ما خرجت أشرًا ولا بطرًا ولا حرصًا على الدنيا ولا رغبة فى المُلْك ، وما بى إطراء نفسى ولا تزكية عملى ، وإنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمنى ربى ، ولكنى خرجت غضبًا لله ودينه وداعيًا إلى كتابه وسُنَّة نبيه ؛ حين درست معالم الهدى وأطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرمة والراكب البدعة والمغيِّر السُّنَّة » .

« فلما رأيت ذلك أشفقت أن غَشِيَتْكُم ظُلمة لا تقلع عنكم على كَثْرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، و أشفقت أن يدعو كثيرًا من الناس إلى ماهو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم فاستخرت الله فى أمرى ، وسألته أن لايكِلْنى إلى نفسى وهو ابن عمى فى نسبى وكفئى فى حسبى .. فأراح الله منه العباد وطهَّر منه البلاد ، ولاية من الله وعونًا بلا حول منى ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعزته .

أيها الناس ؛ إن لكم علىَّ إن ولِّيت أموركم أن لا أضع لبنة على لبنة ولاحجرًا على حجر ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد ثغره ، وأقيم مصالحه مما تحتاجون إليه وتقوون به ، فإن فضل شىء رددته إلى البلد الذى

يليه وهو من أحوج البلدان إليـه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء .

فإن أردتم بيعتى على الذى بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن مِلْتُ فلا بيعة لى عليكم ، وإن رأيتم أحـدًا أقـوى عليهـا منى فأردتم بيعتـه ، فأنـا أول من يبايعه ويدخل فى طاعته .. أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم » .

* * *

*خطبـة فى سَبّ أهل المدينة

* وخطب « المختـار بن عـوف بـن سليمان بن مـالك الأزدى السليمى البصرى » المعـروف « بأبى حمزة الشـارى » - المتـوفى (١٣٠هـ - ٧٤٨م) بالمدينة - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- « يا أهل المدينة : مـالى رأيت رسم الدين فيكم باقيًـا ، وآثاره دارسة ، لا تقبلـون عظته ، ولا تفقهـون من أهلـه حُجَّـة ، قد بليت فيكـم جِدَّتُـه .. وانطمست عنكم سُنَّتُه ، تـرون معروفه منكرًا ، والمنكر مـن غيره معروفًا ، إذا انكشفت لكم العِبَر .. وأوضحت لكـم النُّـذُر[1] ، عَميت عنها أبصـاركم ، وصَمَّت عنها أسماعكم ، ساهين فى غمـرة ، لاهين فى غفلة ، تنبسط قلوبكم للبـاطل إذا نُشِر ، وتنقبض عن الحق إذا ذُكِـر ، مستـوحشـةً من العلم ، مستأنسةً بالجهل .. كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورًا .

« تحملـون قلوبًـا فى صدوركم كـالحجارة أو أشـد قسوة من الحجـارة ، أَوَلَـمْ تَلِنْ لِكَتـاب الله الذى لـو أُنْزِل على جَبَلٍ لرأيتـه خاشعًا مُتصـدعًا من خشـية الله » .

« يا أهل المدينـة ، ما تُغْنى عنكم صحة أبـدانكم إذا سقُمت قلوبكم ، إن الله قد جعل لكل شىء سببًا غالبًا ينقاد له ، ويطيع أمره .. وجعل القلوب غـالبـة على الأبـدان ، فإذا مـالـت القلـوب ميـلاً ؛ كـانت الأبـدان لها

---

(١) النذر : جمع نذير ، وهو المنذر .

تبعًا، وإن القلوب لا تلين أهلها إلا بصحتها ، ولا يصححها إلا المعرفة بالله، وقوة النية ونفاذ البصيرة » .

« ولو استشعَرَتْ تقوى الله قلوبكم ، لاستُعملت فى طاعة الله أبدانكم .

يا أهل المدينة :داركم دار الهِجْرة ، وَمَثْوَى رسول الله ﷺ لَمَّا نَبَتْ به دارُه وضاق به قراره ، وآذاه الأعداء وتجهمت [١] له ، فنقلـه الله إليكم ، بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثـالكم ، مُتوازرين مع الحق على الباطل ، مختارين الآجل على العاجل ، يصبرون للسَّرَّاء رجاء ثوابها ، فنصروا الله ، وجاهدوا فى سبيله ، وآوَوْا رسول الله ﷺ ونصروه ، واتبعـوا النور الـذى أنزل معـه ، وآثروا الله على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة » [٢] .

قال الله تعالى لأمثالهم ولمن اهتدى بهداهم :

- ﴿ ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٣] .

وأنتم أبناؤهم ومن بقى من خَلَفَهم ، تتركـون أن تقتدوا بهم ، أو تأخذوا بِسُنَّتِهِم ، عُمْى القلـوب ، صُمّ الآذان ، اتبعتم الهوى ، فـأرداكم عن الهدى وأسهاكم ، فلا مـواعظ القرآن تزجركم فتـزدجرون .. ولا تعظكم فتعتبرون .. ولا تـوقظكم فتستيقظـون .. لبئس الخَلَف أنتـم من قـوم مَضَـوا قبلكم ، مـا سِرْتُم بسيرتهم ، ولا حفظتم وصيتهم ، ولا احتذيتم مثالهم .. لو شُقَّت عنهم قبورهم ، فعُرِضَت عليهم أعمالكم ، لعَجِبُوا كيف صُرِفَ العذاب عنكم ! ».

* (الأغانى ٢٠ : ١٠٥ ، وشرح ابن أبى الحديد م١ : ص ٤٥٨) .

* * *

---

(١) تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه كريه .
(٢) الخصاصة : الفقر .
(٣) سورة التغابن - الآية ١٦ .

* وجاء فى رواية « العقد الفريد » :

- « يا أهل المدينة .. أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم[1] عن كتاب غير ذى عِوَج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين[2] ، أمواتًا غير أحياء وماتشعرون .

يا أهل المدينة : يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان.. ما أصح أصلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آباؤكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة .

استعبدتكم الدنيا فأذلَّتكم ، والأمانى فأضلَّتكم ، فتح الله لكم باب الدين فسددتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ، سراع إلى الفتنة ، بطاء عن السُّنَّة ، عُمْىٌ عن البرهان ، صُمٌّ عن العرفان ، عبيد الطمع ، حُلفاء الجَزَع » .

« نِعْمَ ما وَرَّثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس ما تورثون أبناءكم أن تمسكوا به ، نصر الله آباءكم على الحق، وخَذَلَكُم على البطلان ، كان عدد آبائكم قليلاً طيبًا ، وعددكم كثير خبيث ، اتبعتم الهوى ، فأرداكم ، واللهو

---

(١) خانوكم .
(٢) أى عادلين عنه منصرفين .

فأسهـــاكم ، ومــواعظ الـــــقرآن تزجركـــم فــلا تزدجــــرون ، وتُعَبِّرُكُم[1] فلاتعتبرون» .

(العقد الفريد ٢ : ١٦١)

* * *

(١) المراد : تعظكم ، من العبرة ، ولم أجده فى كتب اللغة بهذا المعنى وإنما الذى فيها: « عبر الدراهم : وزنها » .

خطبــة أخرى لــه

* وخطب فقال :

- « أما بعد ، فإنك فى ناشئى فتنة[1] ، وقائد ضلالة ، قد طال جثومها ، واشتد عليك غمومها ، وتلونت[2] مصايد عدو الله فيها ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها ، فلن يهد عمودها ، ولن ينزع أوتادها ؛ إلا الذى بيده ملك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم ، ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمها ، ولم يشايعوا أهلها على شهها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق .

ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يُصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم »

(العقد الفريد ٢ : ١٦٢)

* * *

---

(١) من إضافة الصفة للموصوف أى فى فتنة ناشئة ، أى حياة شابة .

(٢) تعددت وصارت ذات ألوان : أى نصب العدو لنا المصايد ، ودبر المكايد للإيقاع بنا .

خطبتـه حين خرج من المدينـة

* وخطب حين خرج من المدينة ، لقتال جيش مروان [1] ، فقال :

- « يـا أهل المدينة : إنـا خارجـون لحرب مـروان ، فإن نظهر نعـدِل فى أحكامكم ، ونحملكم على سُنَّـة نبيكم ، ونَقسم بينكم فيئكم ، وإن يكن ما تمنون لنا : « فسيعلم الذين ظلموا أى منقلبٍ ينقلبون » .

* * *

(تاريخ الطبرى ١١٠ ، والأغانى ٢٠ : ١١٠ ، وشرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٤٦١) .

---

(١) وذلك أن مروان بن محمـد جهز جيشًـا من أهل الشام ، واستعمل عليهم عبـد الملك بن محمد بن عطية ، وأمره أن يمضى فيقاتلهـم ، فإن هـو ظفر بهم مضـى حتى يبلـغ اليمن ، ويقاتـل عبد الله بن يحيى ، فسـار إليهم ، وخرج أبو حمزة للقائه .. فقـاتلهم ابن عطية حتى قتلهم ، وقَتَلَ أبا حمزة ، وبعث برأسـه إلى مروان ، وصلبه هو وكبـار أصحابه (سنة ١٣٠) ولم يـزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمر إلى بنى العبـاس ثم سار ابن عطية إلى اليمن ، فقاتل عبـد الله بن يحيى وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان .

خطبـة (ابن أبى عبيـد) الحارقـة

* خطـب « المختـــار بن أبـى عبيـــد بن مسعـــود الثقفـى » (١-٦٧هـ=٦٢٢- ٦٨٧م) - خطبة قال فيها :

-« الحمدُ لله الـذى جعلنى بصيرًا .. ونَوَّر قلبى تنويـرًا .. والله لأحرقن بالمصر دورًا .. ولأنبشن بها قبورًا .. ولأشفين منها صدورًا .. وكفى بالله هاديًا ونصيرًا » .

* (ثم أقسم) ، فقال :

- « بربِ الحَرَم .. والبيت المحرَّم .. والـركن المكرَّم . والمسجد المعظَّم .. وحق ذى القلم .. ليرفعـن لى علم .. من هنـا لإضم .. ثم إلى أكنـاف ذى سلم.

* ثم قال :

- « أما ورب السماء .. لتنزلن نارًا دهماء .. فلتحرقن دار أسماء » .

« أمـا والذى أنـزل القـرآن .. وبيَّن الفُـرقان .. وشرح الأديـان .. وكـرَّه العصيان .. لأقتلن النعـاة من أزدعـمان .. ومذحج وهمـدان .. ونهـد وخولان .. وبكـر وهمـذان .. وثعـل ونبهـان .. وعبس وذبيـان .. وقيس وعيلان » .

« وحق السميع العليم .. العلى العظيـم .. العـزيـز الحكيـم .. الـرحمن الرحيم .. لأعركن عرك الأديم .. أشراف بنى تهيم » .

« أما ومُمشى السحاب .. الشديد العقاب .. السريع الحساب .. العزيز الوهاب .. القدير الغلاب .. لأنبشن قبر « ابن شهاب » .. المفترى الكذاب المجرم المرتاب » .

« ورب العالمين .. رب البلد الأمين .. لأقتلن الشاعر المهين .. وراجز المارقين .. وأولياء الكافرين ..وأعوان الظالمين .. وإخوان الشياطين .. الذين اجتمعوا على الأباطيل .. وتقولوا عليَّ الأقاويل » .

« ألا فطوبى لـذوى الأخلاق الحميـدة .. والأفعال السـديدة .. والآراء العتيدة .. والنفوس السعيدة » .

* * *

مراجع أغرب الخطب

* عليٌّ إمام الأئمة - أحمد حسن الباقورى - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٨٥م.
* نهج البلاغة - الإمام عليّ بن أبى طالب - شرح ابن أبى الحديد - دار المتنبى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .
* سمط الدُّر - على إبراهيم محمد الدشناوى - مطبعة العلوم بالقاهرة .
* الأعلام - خير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان سنة ١٩٨٤م .
* كل شيء والدنيا - العدد ٤٥٧ - ٨/ ٨/ ١٩٣٤ .
* موارد السالك لأسهل المسالك - السيد عبد الله اليوسفى - المطبعة الأميرية الباهرة ببولاق مصر - القاهرة سنة ١٣٠٨هـ .
* ديوان تذكرة الغافل عن استحضار المآكل - محمد الخالد جلبى الحمصى - بيروت سنة ١٣٢١هـ .
* عيون الأخبار - لابن قتيبة الدينورى - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
* سحر العيون - للبدرى - طبعة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى - ١٢٧٦هـ .
* الأمالى - لأبى على القالى - دار الكتب المصرية - القاهرة .
* البيان والتبيين -لأبى عثمان بن عمرو الجاحظ -مكتبة الخانجى القاهرة.
* تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبرى - دار المعارف - القاهرة .

* العقد الفريد - لابن عبد ربه - لجنة التأليف للترجمة والنشر .
* حُسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - للسيوطى - الحلبى - القاهرة.
* النجوم الزاهرة - لابن تغرى بردى - دار الكتب المصرية - القاهرة .
* خطط المقريزى - المقريزى - طبعات مختلفة - القاهرة .
* نهج السعادة فى مستدرك نهج البلاغة - الشيخ محمد باقر المحمودى -بيروت .
* عصر سلاطين المماليك - محمود رزق سليم - المجلد السادس - وزارة الثقافة والإرشاد القومى - القاهرة سنة ١٩٦٢م .
* تاريخ الآداب العربية - نخبة من الباحثين - وكالة الفرير - باب سدرة- بالإسكندرية سنة ١٩٢٥ م .
* الإحاطة فى أخبار غرناطة - لسان الدين بن الخطيب - مكتبة الخانجى المعارف .
* نفح الطيب - للمقرّى - طبعات مختلفة - القاهرة - بيروت .
* الخطابة - محمد عبد الخالق - مطبعة الابتهاج بالقاهرة - سنة ١٩٣٢ م .
* سلاَّفة النديم - جمع عبد الفتاح نديم - مطبعة الجامعة بمصر - سنة١٨٩٧ م .
* المنتخبات العربية - المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٤ م .
* تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق - الشيخ داود الأنطاكى المعروف بالأكمه - المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ .

* نكت الهميان فى نكت العميان - صلاح الدين بن أيبك الصفدى - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١١م .
* الخطب الصحية - للمساجد المصرية - دكتور حسن كمال - مطبعة المقتطف والمقطم - سنة ١٩٣٠ م - القاهرة .
* الأدب العربى فى مصر - د . عبد الرزاق إبراهيم حميدة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
* حكم وأمثال ونوادر من بطون التراث - سيد صديق عبد الفتاح - مكتبة مدبولى - القاهرة سنة ١٩٨٣ م .
* طرائف ونوادر - رضا علوى سيد أحمد - دار البيان العربى - بيروت سنة١٩٩٢م .
* القادوس - جريدة كلية الزراعة - بالقاهرة سنة ١٩٥١م .
* الحديقة - محب الدين الخطيب - جـ١٠ - المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ .
* الفكاهة والمجون فى الوطن العربى - حسين كمال - مكتبة المعارف بالطائف .
* الكامل فى اللغة والأدب - لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوى - المكتبة التجارية الكبرى - بالقاهرة سنة ١٣٦٥هـ .
* نثر الدر - للآبىّ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة١٩٩١م.
* مفتاح الأفكار فى النثر المختار - الشيخ أحمد مفتاح - مطبعة جريدة الإسلام بمصر سنة ١٣١٤هـ .
* الأغانى - لأبى الفرج الأصفهانى - مكتبة دار الشعب - القاهرة .

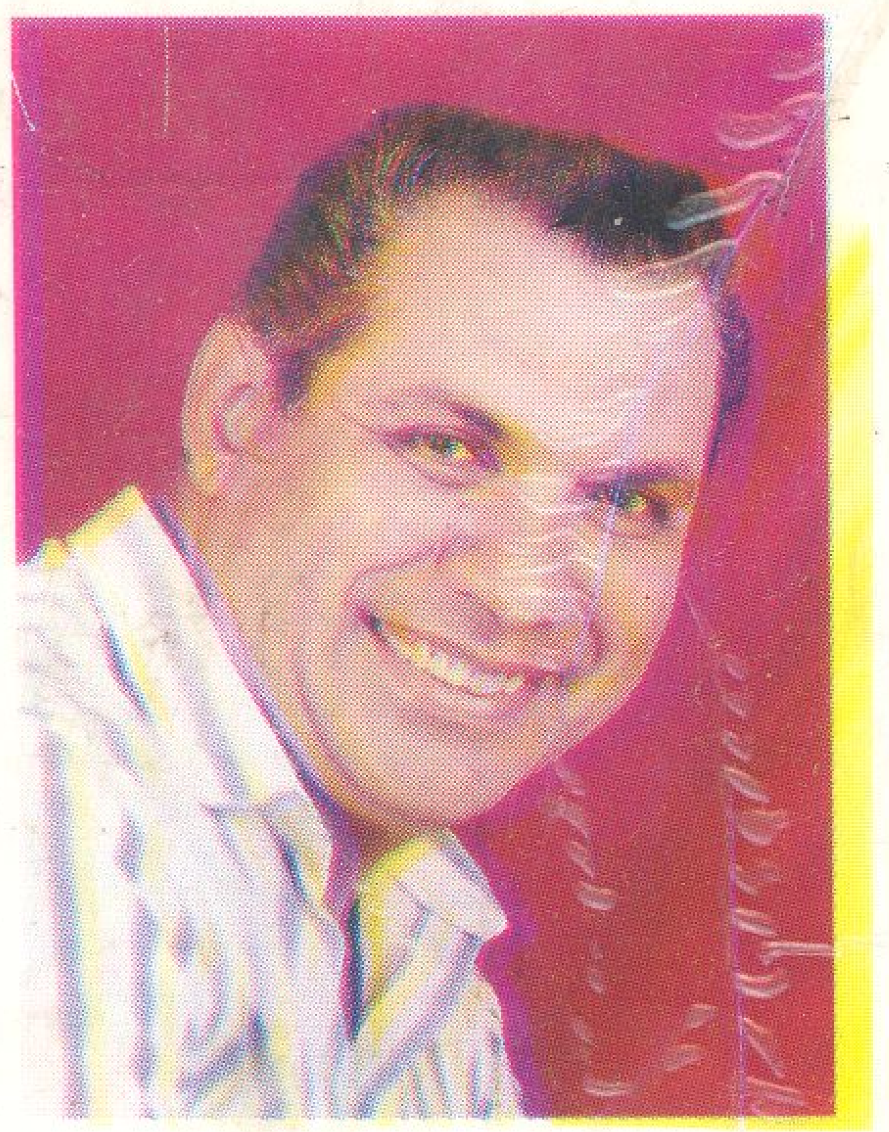
* وفيات الأعيان - لابن خلكان - طبعات مختلفة - القاهرة - بيروت .
* مقامات الحريرى - أبو القاسم الحريرى البصرى - المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٩٢١ م .
* الدعاة من المتأهلين والمتنبئين والمتمهدين - وجيه فارس الكيلانى المطبعة العربية ومكتبتها - بمصر سنة ١٩٢٣ م .
* ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب - لأبى منصور الثعالبى النيسابورى .
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٥م .
* طبقات السبكى - ج٥ - القاهرة .
* علىٌّ .. من المهد إلى اللحد - محمد كاظم القزوينى .

* * *

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فهـرس الكتــاب

* * *



غرائب الخطب وعجائب الخطباء

فى هذا الكتاب ـ عزيزى القارئ ـ غرائب الخُطَب مثل خطبة تحتوى على كل سور القرآن الكريم ، وخطبة خالية من حرف الألف ، وخطبة تخلو من حرف الراء ، وخطبة بدون نقط على الحروف ، وخطبة فى الغزَل ، وخطبة عن الطعام ، وخطبة فى العيون ، وخطبة فى النيل ، وخطبة فى طبائع الحيوان ، وخطبة عن الجمال والكمال ، والخطبة القاتلة ، وخُطب تتعلق بالحشرات ، والبعوض ، والطاووس ، والخفاش ، والبرغوث ، والذباب . وغيرها من طرائف الخطب ونوادرها ..

كما يحدثنا عن أحرج المواقف التى تعرّض لها الخطباء الفصحاء ـ أثناء إلقاء خطبهم ـ من الخطأ ، والنسيان .. الخ ..

أمثال « علىّ بن أبى طالب » و « عثمان بن عفان » و « معاوية بن أبى سفيان » و « طارق بن زياد » و « واصل بن عطاء » و « الجاحظ » و « هشام ابن عبد الملك » و « يزيد بن أبى سفيان » و « عدى بن أرطأة » و « معن ابن زائدة » و « ابن القُرية » و « الرشيد » و « يزيد بن معاوية » و « وازع اليشكرى » و « القاضى عياض » و « ابن المقرى » و « الكفعمى » و « ابن الملهب » و « عبد الله القسرى » و « قتيبة بن مسلم » و « عبيدة ابن الزبير » و « عتاب بن ورقاء » و « وكيع بن الأسود » و « مصعب ابن حيان » و « يزيد بن الوليد » و « اليربوعى » و « زفر بن الحارث » و « قبيصة » و « الأبرش الكلبى » و « ابن هبيرة » و « أبو العنبس » و « العقاد » و « النديم » .. وغيرهم .

الناشر



١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش الهرم - الجيزة
١ ش محمد محمود - باب اللوق (برج الأطباء) القاهرة ت : ٣٥٥٨٤٦١